# من غزوات النبي

## صلى الله عليه وسلم

حازم عوض

الكتاب : من غزوات النبي (ﷺ)

الكاتب : حازم عوض

الطبعة : ٢٠١٦




**الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)**

**٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة**

**جمهورية مصر العربية**

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

**E-mail: http://www.apatop.com    news@apatop.com**



**دار الكتب المصرية**

**فهرسة إثناء النشر**

**عوض، خالد**

**من غزوات النبي (ﷺ) – الجيزة – وكالة الصحافة العربية**

**.. ص ، .. سم .**

**تدمك : ٩ -١٢٣ – ٤٤٦ – ٩٧٧ -٩٧٨**

**أ. العنوان**    **رقم الإيداع / ١٠١٠٤ -٢٠٠٨**

# من غزوات النبي

## صلى الله عليه وسلم





# مقدمة

**لم تسهم الغزوات التي قادها الرسول – ﷺ – أو أرسلها في زيادة مساحة رقعة العالم الإسلامي فقط، بل تعد أيضا سجلا حافلا ومشرفا في تاريخ العسكرية على مر التاريخ، فقد كان أول ما يوصي به جنوده، هو الحفاظ على حقوق الإنسان وحماية حرياته، فينهاهم عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ، ويحرم عليهم حرق الزرع وإتلاف ممتلكات الأعداء، كما كان يحسن معاملة أسراه، ويستجيب لمطالبهم، ويراعي أحوالهم الخاصة، فكثيراً ما أطلق سراح فقرائهم الذين لا يستطيعون فدية أنفسهم.**

ولم يكن الهدف كما يرى بعض المستشرقين من هذه الفتوحات الإسلامية هو نشر الدعوة بحد السيف، بل كان تأصيلا لمعنى إعلاء كلمة الحق فوق الباطل، مصداقا لقوله تعالى: "فقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"، كما أن قدر السماحة التي كان يتعامل بها النبي والمسلمون مع أهل البلاد التي دخلوها، خير دليل على تأصيل هذا المعنى.

ولعل استعراض تاريخ هذه الفتوحات بمثابة استخلاص لعبر وعظات تجسد أعظم المثل، وأكرم الخلق التي تحكم مسيرة الإنسان وسلوكه خلال حياته، لترشده إذا ما ضل طريقه، وليستمد من سير المعصوم العون والزاد في أوضاع بات من الصعب على المرء السير فيها دون استلهام الدافع والرجوع إلى وازع نابع من داخله لنيل شرف العيش بعزة المسلم كما يجب أن يكون، وكما أوصى به المعصوم – ﷺ .

وتستمر المبادئ السامية للعسكرية الإسلامية فنجد أن الغزوات التي خاضها المسلمون في حياته – ﷺ – وشارك في تسع منها لم يكن المسلمون البادئون بالاعتداء، بل كانت جميعا رداً لعدوان وقع عليهم، أو استرداداً لحق لهم، أو مقاومة جماعة أفسدوا في الأرض وأهابوا الناس.

وتاريخ تلك العزوات يؤكد كم كان الرسول – ﷺ – على دراية بكل فنون الحرب، فاستخدام المخابرات العسكرية، وطبق نظم الإغارة، وخداع العدو، والحرب المعنوية، واستخدام وسائل التدريب العالية ورفع معنويات جنوده، وخلق – صلى الله عليه وسلم – روح التنافس بينهم على بذل أقصى الجهد في سبيل الله، كما أرسى قاعدة تواضع القادة ومشورة المقاتلين لدراسة الخطط، وغير ذلك من أساليب الحرب الحديثة، كما أدرك – ﷺ– أهمية الآلة الحربية، فكان عند تقسيم الغنائم يجعل للفرس سهمين وللفارس سهماً واحداً، وبالتالى أفرزت هذه الغزوات قصصاً عديدة من البطولات الناصعة التي تكشف افتراءات أعداء الإسلام على مبادئه السامية وحضارته نتناولها في الحلقات التالية.

# غزوة بدر الكبرى

وقعت في ١٧ رمضان السنة الثانية للهجرة

## - معركة حاسمة حفظت الوجود الإسلامي
## - دروس مستفادة يأخذها كل قائد يريد النصر



**لـم تكـن غـزوة بـدر الكبـرى كغيرهـا مـن الغـزوات التـي اشـترك فيهـا المـسلمون، بـل كانـت نقطـة تحـول فـي تـاريخ الإنـسانية جمعـاء، كانـت فرقانا بين الحق والباطل، قوى الله بها شوكة المسلمين لتتولى الفتوحات والانتصارات الإسلامية.**

تلك المعركة التي وقعت أحداثها في اليوم السابع عشر من شهر رمضان، والتي قال فيها الحق – ﷻ – في محكم كتابه الكريم: "ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون"، كانت أول معركة في الإسلام بقيادة الرسول – ﷺ ، وأول لقاء مسلح بين جند الحق وجند الباطل في شهر رمضان، الشهر الذي منّ الله فيه على الأمة الإسلامية بانتصارها على أعدائها في كل معركة خاضتها أمتنا الإسلامية قديما وحديثا منذ عصر النبوة وإلى عصرنا الحاضر.

وقبل الحديث عن أحداث بدر الكبرى واستخلاص دروسها ونتائجها، نتطرق إلى السبب الذي دفع الرسول – ﷺ – للخروج إلى هذه الغزوة، فعندما سمع النبي أن قافلة تجارية لقريش قادمة من الشام بإشراف أبي سفيان بن حرب، ندب المسلمين إليها ليأخذوها لقاء ما تركوا من أموالهم في مكة، فخف بعضهم لذلك وتثاقل آخرون، حيث لم يكونوا يتصورون قتالا في ذلك.

كان مسير رسول الله – ﷺ – لثلاث ليال من شهر رمضان، في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، وقيل أربعة عشر، وقيل ثمانية عشر، وكانت الإبل سبعين، فكان يتعاقب عليها بين الرجلين والثلاثة والأربعة، وهم لا يعلمون من أمر قريش وخروجهم شيئا، أما أبو سفيان فقد أتيح له أن يحرز عيره، إذ سلك طريق الساحل إلى مكة وجعل ماء بدر عن يساره، وأخذ يسرع حتى نجت عيره وتجارته من الخطر.

وأثناء سير النبي – ﷺ – أتاه خبر مسير قريش إلى المسلمين، وهم بين تسعمائة إلى الألف، فأقبل ﷺ على أصحابه، وقال: "هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ كبدها"، ثم استشار أصحابه، فتكلم المهاجرون كلاما حسنا، وكان منهم المقداد بن عمرو فقد قال: "يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك"، ولكن النبي ظل ينظر إلى القوم، ويقول لهم: "أشيروا عليّ أيها الناس".. فقال له سعد بن معاذ: "والله لكأنك تريدنا يا رسول الله"، قال: "أجل"، فقال سعد: "لقد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت، فنحن مع، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذه البحر فخضته لخضناه معك".

وسار رسول الله – ﷺ ، وقال لأصحابه: "أبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم"، ثم انحط على بدر فنزل قريبا منها، وقال الحباب بن المنذر: "يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة"، قال ﷺ : "بل هو الحرب والرأي والمكيدة"، فقال: "فإن هذا ليس منزلاً، فانهض بالناس حتى أدنى ماء من القوم، فننزله ثم نعور ما وراءه من الآبار، ثم نبني حوضاً فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فنهض رسول الله، وتحول إلى المكان والرأي الذين أشار بهما الحباب – رضي الله عنه.

فلمّا نزل جاءه سعد بن معاذ فقال: "يا رسول الله، نبني لك عريشاً من جريد فتكون فيه ونترك عندك ركائبك ثم نلقي عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا الله عليهم كان ذلك مما أحببناه، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بما وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبّا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقي حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويحاربون معك". فأثنى عليه خيراً، ثم بُني لرسول الله – ﷺ – عريش، وأقبلت قريش بخيلائها وفخرها، فلمّا رآها قال: "اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذّب رسولك! اللهم فنصرك الذي وعدتني! اللهم احنهم الغداة".

وفي صبيحة يوم الجمعة لسنتين من الهجرة، بدأ القتال بين المشركين والمسلمين، وأيد الله المسلمين بالملائكة يقاتلون إلى جانبهم، وانحسر القتال عن نصر كبير للمسلمين، وقتل في تلك الموقعة سبعون من صناديد المشركين وأسر سبعون واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا.

فما هزم الله المشركين وقتل منهم من قتل، وأسر من أسر أمر رسول الله – ﷺ – أن تطرح القتلى في القليب، فطرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا به ليخرجوه فتقطع، وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه، ولما ألقوا في القليب، وقف عليهم رسول الله – ﷺ وقال: "يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم! كذبتموني وصدقني الناس! ثم قال: "يا عُتيبة، يا شيبة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، وعدد من كان في القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإنني وجدت ما وعدني ربي حقا. فقال له صاحبه: "أتكلم قوما موتى؟ فقال: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني".

## دروس مستفادة

وثمة أسباب كثيرة تمخضت عن انتصار المسلمين على قريش في غزوة بدر الكبرى، منها تخطيط النبي ﷺ للمعركة، واستغاثته بربه ووحدة المسلمين والتفافهم حول الرسول وصدقهم فيما عاهدوا الله عليه، إضافة إلى مبدأ الشوري، ذلكم المبدأ العظيم الذي أخذ به سيدنا المصطفى – صلى الله عليه وسلم – مع أنه ملهم ويوحى إليه، ولكنه يأخذ رأي أصحابه ولا يكرههم على الحرب إكراها، ولكن يستشيرهم ويستطلع آراءهم، ولكها دروس باهرة يأخذها كل مؤمن صادق، وكل قائد يريد النصر، وكل أمة تجاهد من أجل إحقاق الحق.

ومن الدروس أيضا التي تستخلص من غزوة بدر، أن الله يقوي الفئة المؤمنة التي بلغت في خشوعها لله، وفي إجابتها وإنابتها وصدقها في التوكل على الله، حتى بلغت درجة الذلة لله كما عبر القرآن الكريم (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)، إضافة إلى التعبئة الجديدة، فلقد طبق الرسول – ﷺ – في مسيرة الاقتراب من المدينة إلى بدر تشكيلة لا تختلف بتاتا عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء، كان لهم مقدمة، وقسم أكبر، ومؤخرة، كما استفاد من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات، وتلك هي الأساليب الصحيحة لتشكيلات مسيرة الاقتراب في حرب الصحراء حتى في العصر الحاضر.

تمخضت معركة بدر أيضا عن نتائج مهمة للمسلمين، فقد هدد انتصار المسلمين على الكفار طرق تجارة المكيين، وهي عصب حياتهم، وأضعفت هيبة مكة ونفوذها على العرب، ونمت قوة الإسلام وعززت دولته الجديدة في المدينة، وازداد التضامن بين المهاجرين والأنصار.

# عزوة بني قينقاع

- لماذا نقض اليهود العهد مع النبي ﷺ؟
- الرسول ﷺ دعا على يهود بني قينقاع فلاقوا هلاكهم

**كان اليهود ينعتون أنفسهم بأنهم أهل العلم بالأديان والشرائع، ويزعمون بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وكانوا يبشرون بمبعث نبي جديد ويقولون للأوس والخزرج إن نبيا قد أظلنا زمانه وأننا سنتبعه ونقتلكم قتل عاد وإرم، واستمرت علاقة اليهود بالأوس والخزرج شائكة وخاضعة للمنفعة الشخصية والمكاسب المادية، حتى هاجر الحبيب محمد – ﷺ – إلى المدينة.**

وعندما هاجر الرسول إلى المدينة، استقبله اليهود مع المهاجرين والأنصار أحسن استقبال، ولكن منهم من تنكر للدعوة الإسلامية، وتوجس خيفة من صاحبها – ﷺ – منذ اليوم الأول من الهجرة، فقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري، أن أبا ياسر بن أخطب، لما قد النبي – ﷺ – المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه، ثم رجع إلى قومه فقال: "يا قوم أطيعوني، فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه، فانطلق أخوه حيي بن أخطب، وهو يومئذ سيد اليهود، وهما من بني النضير، فجلس إلى الحبيب محمد – ﷺ – وسمع منه ثم رجع إلى قومه، وكان فيهم مطاعا، فقال: "أتيت من عند رجل، والله لا أزال له عدوا أبدا"، فقال له أخوه ياسر: "يا ابن أمي، أطعني في هذا الأمر، وأعصني فيما شئت بعده.. لاتهلك"، قال: "لا والله لا أطيعك أبدا"، واستحوذ عليه الشيطان وأتبعه قومه على رأيه، قلت: "أما أبو ياسر فلا أدري ما آل إليه أمره"، فشرب عداوة النبي – ﷺ – ولم يزل

ذلك رأيه حتى هلك، ومع ذلك فإن النبي – ﷺ – تغاضى عن عداوة البعض، وعمل على استمالة اليهود إليه، فأباح للمسلمين أن يؤاكلوهم وأن يتزوجوا نساءهم، كما عقد معهم معاهدة أمنهم فيها على أنفسهم وأموالهم وعقائدهم وضمنها ما فيه خيرهم وخير المسلمين.

ورغم مسالمة اليهود للنبي – ﷺ– في الشهور التي أعقبت الهجرة، إلا أنهم في الباطن ناصبوه الكيد والعداء بشتى ألوانه، وذهبوا إلى التشكيك في صحة دين الإسلام والمجاهرة بالكراهية والاستنكار لما يصيب المسلمين من خير، وقد اتضح هذا جليا عندما عاد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من غزوة بدر الكبرى في رمضان من السنة الثانية للهجرة، وخرج المسلمون منها منتصرين، أظهر اليهود له الحسد بما فتح الله على الرسول ونقضوا عهدهم من الرسول، فما بلغه ذلك جمعهم بسوق بني قينقاع، وقال لهم: "احذروا ما نزل بقريش في بدر وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني مرسل، فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة".

وكان أول من نقض العهد، واستهزأ بالإسلام يهود بني قينقاع، وبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم حدث أن جلست امرأة مسلمة عند صائغ يهودي لأجل حلي لها في سوق بني قينقاع، فغافلها رجل وحل درعها إلى ظهرها، فلما قامت بدت عورتها أمام رجال من يهود بني قينقاع الذين ظلوا يضحكون منها، فقام إليها رجل من المسلمين فقتل الرجل الذي فعل لها تلك الفعلة، وبذلك نقض يهود بني قينقاع العهد مع رسول الله – ﷺ – عندما علم الرسول بذلك أعلن عليهم الحرب فتحصنوا في حصونهم، وتقدم إليهم رسول الله – ﷺ– وحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى أعلنوا استسلامهم ونزلوا على حكم النبي عليه السلام، ولكن رسول الله يريد قتلهم، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج

الذين كانوا حلفاء لبني قينقاع، فكلم رسول الله فيهم، فلم يجب، فأدخل يده في جيب رسول الله – ﷺ – فغضب رسول الله، وقال: "ويحك أرسلني". فقال: "لا أرسلك حتى تحسن إلى مواليّ أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، فقد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة وإني والله لأخشى الدوائر"، وظل يكلم النبي فيهم حتى قال – ﷺ له: "هم لك حلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم"، وتذكر الروايات في هذا الصدد أن عبادة بن الصامت الأنصاري أخرجهم فبلغ بهم ذباب، ثم ساروا إلى أذرعات من أرض الشام، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى هلكوا.

وغنم رسول الله – ﷺ – والمسلمون ما كان لبني قينقاع من مال، حيث كانوا صاغة ولم يكن لهم أرضا، وقسم الرسول – ﷺ – الغنيمة بين أصحابه وخمسها، وكان أول خمس أخذه رسول الله – ﷺ – وبعدها انصرف النبي، وحضر الأضحى، وخرج إلى المصلى، فصلى بالمسلمين، وهي أول صلاة عيد صلاها، وضحى فيه رسول الله ﷺ بشاتين، وقبل بشاة، وكان أول أضحى رآها المسلمون، وضحى معه ذوو اليسار.

ونخلص من غزوة بني قينقاع بأن الرسول ومن معه من المسلمين لم يكونوا يقاتلون من أجل القتال فقط، بل كانوا يتبعون كافة السبل التي تحول دون ذلك، وهي الدعوة لدخول في الإسلام أو دفع الجزية، وفي حالة اليهود فقد كانت هناك معاهدة بينهم وبين الرسول نقضوا واعتدوا على حرمات المسلمين، فما كان من الرسول إلا أن خرج وحاصرهم، كما أظهرت هذه الغزوة سماحة الرسول مع أعدائه، حيث ترك يهود بني قينقاع ولم يقتلهم، واكتفى بغنم ما لهم من مال وتقسيمه على المسلمين، وإن دل ذلك على شيء فهو دليل على أن المسلمين لم يجبروا أحدا على اعتناق دينهم، بل إنهم أفضل من حفظوا حقوق أهل الديانات الأخرى.

# غزوة ذي العشيرة

- اعتراض قافلة قريش وقد رجعت من الشام
- في هذه العزوة كُني علي بن أبي طالب بـ"أبي تراب"



**هذه الغزوة من الغزوات الأولى للمسلمين في حروبهم ضد الكفار، فقد فر المسلمون الأوائل بدينهم من كفار قريش إلى المدينة وتبعهم الرسول – ﷺ – وصحبة أبو بكر الصديق مهاجرين إلى المدينة، وترك المسلمون أموالهم في مكة، فأراد الرسول، أن يسترد جزءا من هذه الأموال التي تركها المسلمون فخرج يطلب قافلة لقريش في جيش من المسلمين في أول الغزوات التي تعرف بغزوة ذي العشيرة، وكان ذلك في جمادى الآخر بعد مضي ستة عشر شهراً من الهجرة.**

خرج الرسول – ﷺ – في مائة وخمسين راكبا من المسلمين، وقيل في مائتين من المهاجرين، ولم يكره أحدا على الخروج، استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسار الرسول وأصحابه لكي يعترضوا هذه القافلة، وكانت قريش قد بعثت فيها أموالها إلى الشام يقودها أبو سفيان بن حرب، وكان بعد مشركا، وصل النبي – ﷺ – وجيشه إلى منطقة يقال لها "ذو العشيرة"، وهي لبني مدلج بناحية ينبع، وتبعد هذه المنطقة عن المدينة المنورة مقدار تسعة آميال "برد"، وهي القافلة التي رجعت من الشام فخرج إليها جيش المسلمين لاعتراض طريقها حتى يستولوا عليها لتعويض المهاجرين جزءا من الأموال التي تركوها في مكة فرارا بدينهم، وخرجت قريش للتصدي للمسلمين ومنعهم من قافلتهم ووقعت في تلك الأثناء غزوة بدر.

وقد كنى الرسول في عزوة "ذي العشيرة" علي بن أبي طالب بـ"أبي تراب"، لأنه شاهده نائما على التراب فقال له: "اجلس أبا تراب"، وقد روى أن ذلك كان بالمدينة حين رآه النبي نائما في المسجد على التراب، فقال – ﷺ : "اجلس أبا تراب"، وخلال غزوة ذي العشيرة وادع الرسول، مدلج وحلفاءهم من بني ضمره ثم عاد إلى المدينة دون أن يلقى كيداً أو قتالاً، وقد كانت هذه الغزوة هي أولى غزوات المسلمين وخروجهم في قوة منظفمة لمواجهة الكفار.

وتتعلم من هذه الغزوة دروسا عديدة أهمها الدفاع عن حقوقنا بكل الوسائل، وإقامة العلاقات والمعاهدات مع الجيران من أجل حياة يعمها السلام ويرفرف على ربوعها روح التعاون، فضلا عن أن هذه الغزوة تأكيد على أن حروب الرسول كانت جميعها من الدفاع عن حقوق المسلمين.

# غـزوة الـسـويـق

## - الشعر أهم الأسلحة في الحرب النفسية
## - أبو سفيان بطل قبل إسلامه وبعده

**"أبو سفيان بن حرب"، أحد فرسان المسلمين الذين منّ عليه الله – ﷺ – بنعمة الإسلام مع فتح مكة.. وقد كان هذا الفارس المغوار يكره الهزيمة يوم أن كان جاهلا مشركا بالله، كما كانت غيرته على الإسلام والمسلمين، في أشدها بعد إسلامه.**

وقد عانى "أبو سفيان" بعد هزيمة كفار قريش يوم بدر، وكان واحداً منهم، فبيت النية للانتقام لشرف أهل مكة، وتقول التفاصيل، إن أبا سفيان بن حرب "قبل أن ينعم الله عليه بالإسلام كان على رأس كفار قريش يوم بدر.. وعاد يجر أذيال الهزيمة والخيبة معها بعد الهزيمة النكراء، فأقسم ألا يمس رأسه ماء من جنابه، أي لا يجانب النساء، حتى يغزو "محمداً".. فخرج "أبو سفيان" في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه، ووصل إلى المدينة ليلا، واجتمع "بسلام بن مشكم" سيد يهود بني النضير، فعلم منه أحوال المسلمين، ثم خرج من عنده ذات الليلة، وبعث رجالا من قريش إلى المدينة، فنزلوا بمنطقة يقال لها "العريض"، فأشغلوا النار في بعض نخلها وقتلوا رجلا من الأنصار يدعى "معبد بن عمرو"، كما قتلوا حليفا له وبعد ذلك عادوا، ورأى "أبو سفيان" بعد ذلك أنه أبر في يمينه، وجاء إلى المسلمين من يستصرخهم ويستغيث بهم، فركب رسول الله – ﷺ – على دابته، وكذلك أصحابه فتعقبوا "أبا سفيان" ورجاله الذين راحو يلقون الحرب التي يحملون فيها كل زادهم

من الطعام حتى ينخففوا منه ويتمكنوا من الهرب والنجاة من الرسول – ﷺ – وأصحابه، لذلك أطلقت على هذه الغزوة "غزوة السويق"، أي حرب الزاد، فلما رجع الرسول – ﷺ – والمسلمون قالوا: "يا رسول الله أتطمع ان تكون لنا غزوة؟! فقال ﷺ : "نعم".

وقد أنشد "أبو سفيان" بمكة وهو يتجهز للحرب:

| | |
|---|---|
| **كـــروا علـــى يثـــرب وجمعهـــم** | **فـــإن مـــا جمعـــوا لكـــن نقـــل** |
| **إن يـــك يـــوم القليـــب كـــان لهـــم** | **فـــإن مـــا بعـــده لكـــم دول** |
| **آليـــت لا أقـــرب النـــساء ولا** | **يمـــس رأســـي وجلـــدي الغـــسل** |
| **حتـــى تبيـــروا قبائـــل الأوس والـــ** | **ـــخزرج إن الفـــؤاد يـــشتعل** |

وهو يريد من أهل قريش أن يهاجموا المدينة لأنه يرى أن جميع المسلمين ضعفاء، فإذا كان يوم بدر قد انتصر فيه المسلمون فإن الأيام القادمة سينتصرون هم كفار قريش، لأن الحرب دول، وقد أقسم باللات ألا يقرب النساء ولا يغتسل إلا إذ هاجم أهل قريش الأوس والخزرج أنصار "محمد" وهزموهم.

فرد عليه "كعب بن مالك" بأبيات قال فيها:

| | |
|---|---|
| **جـــيش ابـــن حـــرب بـــالحرة الفـــشل** | **يـــالهف أم المـــسحين علـــى** |
| **ـــر ترقـــي لقنـــه الجبـــل** | **إذ يطرحـــون الرجـــال مـــن سـئم الطيـــ** |
| **مـــا كـــان إلا كمفحـــص الـــدئل** | **جـــاؤوا بجمـــع لـــوقيس مبركـــة** |
| **أبطـــال أهـــل البطحـــاء والأســـل** | **عـــار مـــن النـــصر والثـــراء ومـــن** |

وفيها يريد أن يقول الشاعر إن المسلمين وحبيشهم متلهفون للفتك بجيش "أبي سفيان بن حرب"، فسوف يطرحوهم قتلى على الأرض وتتخطف طيور الجبل الجارحة

جيفهم، فإن جمعهم الذي يأتوا به سينال هزيمة نكراء وقد لطخ أهل مكة نفسهم بعار يحتاج لرثاء الأبطال من أهل الصحراء بسبب أفعالهم النكراء.

ومن هذه الغزوة نتعلم أن البطولة لا تتجزأ، كما أن الحرب المعنوية التي يشنها العدو لابد ألا تضعف من عزائمنا، ويجب الرد عليها بنفس الأسلوب.

# غزوة سرية ابن جحش

## – مخابرات عسكرية لاستطلاع العدو

## - تغيير القبلة في الصلاة من بين المقدس إلى الكعبة



**ستظل الفنون العسكرية التي وضعها الرسول – ﷺ– مصدراً لكل القادة يستعينون بها على تحقيق النصر، فخطاب مهمة العمليات القتالية الذي يتسلمه قادة الجيوش لا يسمح له بفضه إلا عند توقيت معين لتنفيذ ما فيه من أوامر، حرصا على سرية المهام الكبرى.. لم يكن ذلك ابتكارا لحضارة حديثة أو لتكنولوجيا متقدمة، وإنما هي إحدى القواعد التي وضعها الرسول – ﷺ– حين سلم قائد سرية المسلمين "عبد الله بن جحش" كتابا وأمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين ثم ينفذ ما فيه من أوامر، وشهدت هذه الغزوة غزوة سرية إبن جحش التي وقعت في السنة الثانية لهجرة الرسول – ﷺ – مدى حرصه على التمسك بحالة السلام التي كان يفرضها العرب خلال الأشهر الحرم، فقد عنف قواته وسرح الغنائم التي نالها المسلمون من كفار قريش في أول أيام الأشهر الحرم.**

وورد أن الرسول – ﷺ – أمر "أبا عبيدة الجراح" أن يتجهز للغزو، فتجهز فلما أراد المسير بكري حبا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاستبدله "بعبد الله بن جحش"، وكان ذلك في جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة، وكان معه ما بين ثمانية إلى اثني عشر رجلا من المهاجرين وسلمه الرسول – ﷺ– كتابا ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، بعدهما يقرأ الكتاب ويمضي لتنفيذ ما فيه من أوامر ولا يكره أحدا من أصحابه، ففعل

ووجد فيه الرسول – ﷺ – يأمره بنزول نخلة (وهي موضع بين مكة والطائف)، ليرصد قريشا ويعرف أخبارهم، فقام "عبد الله بن جحش" بإعلام أصحابه بذلك فساروا معه، فضل بعير "لسعد بن أبي وقاص" و"عتبة بن غزوان"، وراحا يتعقبانه فتخلفا عن السرية ومضى "عبد الله"، ونزل بنخلة فمرت "عير" لقريش تحمل زبيبا وغيره، فيها "عمرو بن الحضرمي" و"عثمان بن عبد الله بن المغيرة"، وأخوه نوفل و"الحكم بن كسيان"، فأشرف لهم "عكاشة بن محضن" وقد حلق رأسه، فما رأوه قالوا: "عمار لا بأس عليكم. فرمى "واقد بن عبد الله التميمي"، عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر "عثمان" و"الحكم"، وهرب "نوفل" وغنم المسلمون ما معهم، فقال "عبد الله بين جحش": "إن لرسول الله – ﷺ– خمس ما غنمتم"، وكان ذلك قبل أن يفرض الخمس، وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون وأول خمس في الإسلام، وأقبل "عبد الله بن جحش" وأصحابه بالعير والأسرى إلى المدينة، فلما وصلوا إليها قال لهم رسول الله – ﷺ: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"، فوقف العير والأسيران، فسقط في أيدي المقاتلين، كما أن المسلمين عنفوهم لفعلتهم، بينما قالت قريش: "إن محمداً وأصحابه استحلوا الشهر الحرام".

أما اليهود فقد رددوا أن "عمرو بن الحضرمي" قد تفاءل على رسول الله ﷺ ، أي أنه بشر بنهايته لأن الحرب ستشتعل لقتله، وقالوا "عمرو"، عمرت الحرب، و"الحضرمى" حضرت الحرب، و"وواقد" وقدت نار الحرب، فأنزل الله تعالى الآية بسم الله الرحمن الرحيم: "ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ..." صدق الله العظيم.

فلما نزل القرآن وفرج الله عن المسلمين. قبض رسول الله – ﷺ– العير، وكانت أول غنيمة أصابوها، وافتدى الأسيرين، فأما "الحكم" فأقام مع رسول الله – ﷺ – حتى قتل

يوم بئر معونة، وقد قيل إن مقتل "عمرو بن الحضرمى" والاستيلاء على عير قريش كان آخر يوم من جمادى الأول والآخر يوم من رجب.

وقد وافق هذا الحدث، حدث آخر كان له أثر عظيم في نفس الرسول - ﷺ - ونفوس المسلمين، حيث تغيرت القبلة في الصلاة من بيت المقدس بالشام إلى الكعبة المشرفة، كما فرض في هذا الشهر صيام شهر رمضان، وقد أمر الرسول - ﷺ - إخراج زكاة الفطر قبل انتهاء رمضان بيوم أو بيومين، وفيها خرج رسول الله ﷺ، إلى المصلى، فصلى بهم صلاة العيد، وكان ذلك أول خرجة خرجها، وحملت بين يديه العنزة وهي عصا في رأسها سنان الرمح، قدر نصف الرمح، وهبها له النجاشي وهي اليوم للمؤذنين في المدينة.

ومن هذه الغزوة تطل علينا دروس عديدة أهمها، طاعة أمر القائد، طاعة أوامر الله، الاهتمام بالسرية في المهام القتالية.

# غزوة أحد

- عبقرية الرسول ﷺ تتجلى في تنظيم صفوف جيشه
- مواقف بطولية رائعة لصحابة النبي في محنة أحد

**تعتبر معركة أحد من المعارك الهامة في التاريخ الإسلامي، ولعل أهمية تلك المعركة تأتي من الهزيمة التي كادت أن تلحق بالمسلمين في ثاني معركة لهم مع جحافل الشرك، كما أن ما يعطي لمعركة أحد أهميتها أيضا وقوعها مباشرة بعد معركة بدر الكبرى، تلك المعركة التي انتصر فيها المسلمون على عدو يفوقهم عدة وعدداً.**

وكانت دموع قريش لم تجف على قتلاها في بدر وبلغت روح الانتقام والثأر أعلى درجاتها، فمشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم بها، فكلموا أبا سفيان، ومن كان له في تلك العير تجارة وسألوهم أن يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله – ﷺ – ليدركوا ثأرهم منهم، ففعلوا وتجهز الناس وأرسلوا أربعة نفر، وهم: عمرو بن العاص، وهُبيرة بن أبي وهب وابن الزبعري، وأبو عزة الجمحي، فساروا في العرب ليستنفرهم، فجمعوا جمعا من ثقيف وكنانة وغيرهم، واجتمعت قريش بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وتهامة، وقالوا: يا معشر قريش إن محمداً قد قتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا أن ندرك منه ثأرا ففعلوا وباعوها، وكانت ألف عير ورصدوا الأرباح التي جلبتها أموالهم وجعلوها في الحرب ثم جمعوا الجموع، فبلغوا ثلاثة آلاف محارب منهم ألف محارب استأجرهم أبو سفيان من الأحابيش.

وفي شوال من السنة الثالثة للهجرة، خرجت قريش برجالها ونسائها وأحابيشها بقيادة أبي سفيان في ثلاثة الوية وقد أخذوا معهم من العدة والسلاح الكثير، ولما سمع بهم رسول الله – ﷺ– قال: "إني رأيت بقرا فأولتها خيرا، ورأيت في ذباب سيفي ثلما، ورأيت أني دخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم، فإن أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها"، ورجح الخروج لملاقاة قريش خارج المدينة، فنزل المصطفى – صلى الله عليه وسلم – على ما رآه الصحابة ودخل بيته فلبس درعه ووضع لأمته "لباس الحرب" على رأسه وخرج إليهم، فما إن رأوه حتى قالوا: "استكر هنا رسول الله، ولم يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد"، فقال صلى الله عليه وسلم: "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل.. وقد دعوتكم إلى هذا "عدم الخروج" فأبيتهم إلا الخروج فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو، انظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا".

وسار رسول الله – ﷺ – حتى نزل بعدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وكان المشركون ثلاثة آلاف، منهم سبعمائة دارع والخيل مائتي فرس والظّعنُ خُمس عشرة امرأة وكان المسلمون مائة دارع ولم يكن من الخيل غير فرسين، وهنا تجلت عبقرية رسول الله – ﷺ– في قيادة الجيش، حيث عقد ثلاثة ألوية، لواء للأوس بقيادة أسيد بن الحضير، ولواء للخزرج بقيادة الحباب بن المنذر، ولواء المهاجرين بقيادة مصعب بن عمير، كما تم اختبار فصيلة من الرماة الماهيرن قوامها خمسون مقاتلا، وأعطى قيادتها لعبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، وأمرهم بالتمركز على جبل يقع على الضفة الجنوبية من وادي قناة، وقال لقائدهم: "انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا".

وقد عين الرسول هذه الفصيلة لسد الثغرة الوحيدة التي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائها إلى صفوف المسلمين ويقومون بعملية تطويق للجيش، ثم جعل على الميمنة المنذر بن عمرو، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام، يسانده المقداد بن الأسود، وكانت مهمة الزبير الصمود في وده فرسان خالد بن الوليد، كما جعل في مقدمة الصفوف نخبة من شجعان المسلمين ونصب الرسول معسكرة على سفح جبل أحد المواجه للمدينة، وكانت قريش في أسفل الجبل، وهنا تظهر عبقرية النبي الحربية فقد حصن مواقع جيشه واحتمى بالجبل ووضع الرماة في أعلاه ليحموا ظهر الجيش، كما كان الرسول يبعث الحماس دائما في جنوده، وهنا قال: "من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه أبو دجانة فقال: "وما حقه يا رسول الله"، فقال ﷺ: "أن تضرب به العدو حتى تثخن"، قال: "أنا آخذه يا رسول الله، فأعطاه إياه، وكان له في المعركة بأس شديد.

واقتتل الفريقان قتالا شديدا، حتى أنزل الله نصره على المسلمين وكانت الهزيمة على المشركين، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون، فلما رأى بعض الرماة ذلك، تركوا مواقعهم، فرأى ذلك خالد بن الوليد، وحمل على أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وكسرت رباعية رسول الله السفلى، وشقت شفته، وكلم في وجنته وجبهته، وفي أصول شعره، وضرب أصحاب رسول الله أروع البطولات وأخذوا يفدونه بأرواحهم ويتلقون السهام في ظهورهم عنه، وقتل كثير من المسلمين.

ولما جرح رسول الله – ﷺ جعل علي ينقل له الماء، ويغسله، فلم ينقطع الدم، فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي، وأحرقت حصيراً وجعلت على الجرح من رماده فانقطع الدم، ثم أمر رسول الله ﷺ، أن يدفن شهداء أحد حيث صرعوا، وأمر أن يدفن الاثنان والثلاثة في القبر الواحد وأن يقدم إلى القبلة أكثرهم قرآنا، ثم انصرف رسول الله – ﷺ – بعد دفن

الشهداء مع أصحابه عائدين إلى المدينة فدخلها يوم السبت يوم المعركة الخالدة، يوم أحد وقد شهدت غزوة أحد مواقف بطولية لأصحاب رسول الله، فهذا طلحة بن عبيد الله يدافع عن الحبيب محمد حتى شلت يده، وهذا مصعب بن عمير الذي قاتل دون الحبيب محمد - ﷺ- حتى قتل على يد ابن قمينة الليثي وترّس أبو دجانة رسول الله - ﷺ- بنفسه فكان يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه، وهذا الحبيب محمد - ﷺ - يقاتل قتالا شديداً حتى فني نبله وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره.

# غزوة حمراء الأسد

## - إعادة الثقة لجيش المسلمين بعد هزيمة أحد
## - والحرب المعنوية أهم أسباب النصر

**أرسى الرسول – ﷺ– العديد من قواعد المعارك العسكرية، فكان يدرك أبعاد الحرب النفسية وآثارها على معنويات المقاتلين، وكل الغزوات التي شهدها الرسول والمسلمون تؤكد أنه قائد عسكري من طراز فريد ووضح في غزوة "حمراء الأسد" التي أعقبت غزوة "أحد".**

وحمراء الأسد هذه منطقة تقع على بعد ثمانية أميال أو عشرة من المدينة المنورة والتي عسكر فيها الرسول – ﷺ – بجيشه، قد حدثت هذه الموقعة في السنة السادسة بعد هجرة الرسول – ﷺ – في اليوم التالى لغزوة أحد – التي انهزم المسلمون فيها. فبعد وصول الجيش إلى المدينة يوم السبت، أمر الرسول – ﷺ – في يوم الأحد لست عشر من شوال بدعوة المسلمين للقتال واشترط أن يكون الجيش من الذين خاضوا غزوة أحد فقط، رغم ما يهم من جراح، ولم يخرج معه غيرهم سوى "جابر بن عبد الله" الذي قال للنبي – ﷺ – أن والده الذي استشهد في أحد، قد أمره أن يبقى مع إخواته البنات يوم أحد حتى لا يبقوا بدون رجل ويريد أن يشارك الجيش الخروج، فأذن له النبي بذلك.

وهدف الرسول من هذه الغزوة رفع معنويات المقاتلين من المسلمين بعد هزيمة أحد، وبث الثقة في نفوسهم، بالإضافة إلى ملاحقة كفار قريش ومهاجمتهم قبل أن يعيدوا جمعهم ويهاجموا المدينة، وقد سار المسلمون ولواء الحرب لم ينفك. وكان يحمله "على ابن أبي طالب" وقيل "أبو بكر" ، فشاهدهم "معبد ابن أبي معبد الخزاعى" فأسرع إلى الكفار،

وكانوا قد بدأوا في جمع أنفسهم لمهاجمة المسلمين في المدينة، فلما شاهده "أبو سفيان بن" ولم يكن الله قد من عليه بالإسلام سأله ما وراءك يا "معبد"؟ فرد عليه بأن المسلمين قد جمعوا لهم جيشا لم يشهده من قبل، وجاءوا للثأر من جيش قريش ونصحه بألا يقاتلهم، فرد عليه "أبو سفيان" بأنه كان ينوي البدء بالهجوم على ما تبقى من المسلمين بعد أحد، ودار نقاش بين جيش الكفار رأي "صفوان بن أمية بن خلف" ألا يزحفوا إلى المدينة، وكان النبي قد أرسل رجلين لاستطلاع أحوال العدو، فظفر بهم الكفار وقتلوهم ودفنهم النبي في قبر واحد، وظل معسكراً بمنطقة "حمراء الأسد"، وخلال تواجده أمسك بالشاعر "أبو عزة" الكافر الذي كان قد تركه يوم بدر، وعفى عنه بشرك عدم عودته مع الكفار مرة أخر، وحاول الشاعر أن ينجو مرة أخرى، لكن النبي قال له: "إنه لن يتركه ليعود إلى مكة"، فيقول: "إنه خدعة مرتين وأمر بضرب عنقه".

وخلال الليل كان النبي يأمر المسلمين بإيقاد خمسمائة نار ليعلم العدو بكثرة عدد جيش المسلمين ويدب في قلوبهم الرعب، وبالفعل وصلت الرسالة التي أرادها النبي إلى الكفار فخارت قواهم ورجعوا عن عزمهم ومشوا إلى مكة، وإنتظر المسلمون خمسة أيام ثم عادوا إلى المدينة بلا قتلا بعد أن فر عدوهم.

وتحققت أهداف النبي – ﷺ – من هذه الغزوة التي سار إليها – ﷺ – وهو لم يزل يعاني من الجراح التي أصابته يوم أحد والتي شجت فيها جبهته وكسرت أسنانه لدرجة أن أهل مكة ظنوا أنه قتل، ونخرج من هذه الغزوة بدروس أهمها تكمن في ضرورة الاهتمام برفع المعنوية للمقاتلين، وإطاعة القائد واستخدام السلاح المعنوي في الحروب.

# غزوة الرجيع

- بطولات وتضحيات من أجل رفع راية الإسلام
- المسلمون يقابلون غدر الكفار بوفاء شديد

**تعرضت الدعوة الإسلامية في بدايتها لعديد من مؤامرات الكفار منهم أنهم يستطيعون أن يطفئوا نور الله، لكن الله مُتم نوره ولو كره الكافرون.. كما ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثل في البطولات والتضحية من أجل نشر رسالة الإسلام خلال غزوة الرجيع.**

وقعت هذه الغزوة في شهر صفر وكان سببها أن جماعة من قبيلة عضل والقارة قدموا على الرسول - ﷺ - وأخبره أن من قومهم أناسا كثيرين دخلوا الإسلام، ويريدون أن يرسل إليهم من يعلمهم القرآن، فبعث - عليه الصلاة والسلام - ستة من المسلمين، أميرهم عاصم بن ثابت، وقيل في رواية أخرى "مرثد بن أبي مرثد"، فلما وصل إلى بلد يقال له "الهدأة" غدروا بهم واستدعوا لهم حيا من هزيل يقال لهم بنو ليحان، وكان عددهم مائة رجل، فالتجأ المسلمون إلى جبل، فطلب الكفار منهم أن ينزلوا بعد أن أعطوهم العهد بالآمان، فقال "عاصم": "لا والله لا أنزل على عهد كافر، اللهم خبر نبيك عنا".. وقاتلهم هو و"مرثد" وخالد بن البكيرط، بينما نزل من الجبل "ابن الدثنة"، و"خبيب بن عدي" ورجل آخر فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر والله لا أتبعكم فقتلوه.

وانطلق الكفار بـ"خبيب" و"ابن الدثنة" إلى مكة فباعوهما في سوق الرقيق، فأشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان حبيب قد قتل الحارث في غزوة أحد فاشتروه ليقتلوه ثأر للحارث، فبينما كان يوجد خبيب عند بنات الحارث استعار من بعضهن موس

يستحد به للقتل فوقع صبي لبنت الحارث فجلس على فخذ خبيب الذي كان بيده الموس، فصرخت أم الصبي، فقال لها خبيب متسائلا: "أتخشين أن أقتله؟! إن الغدر ليس من شأننا.. فقالت: "ما رأيت أسيراً خيراً من هذا الرجل، لقد رأيته في وقت لم يكن بمكة ثمرة واحدة، بينما هو في يده عنقوداً من العنب يأكله، ما كان إلا رزقاً رزقه الله لخبيب، فلما خرج الكفار بـ"خبيب" ليقتلوه خارج الحرم قال لهم: "دعوني أصلي ركعتين فتركوه فصلى.. وقد جرت سنة لمن قتل صبراً خبيب، لولا أن تقولوا خاف لزدت في الصلاة على الركعتين ثم أنشد أبياتا منها:

**ولست أبالي حين أُقتل مسلما على أي شق كان في الله مصرعي**
**وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع**

ودعا خبيب عليهم فقال: "اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا"، ثم صلبوه، أما "عاصم بن ثابت" فإنهم أرادوا رأسه ليبيعوه إلى "سلافة بنت سعد"، التي نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم، لأنه قتل ابنيها في غزوة أحد، فأرسل الله نحلا كثيرا منعت عنه الكفار، فقالوا: "دعوه حتى يأتي المساء فنأخذه"، وكان "عاصم" قد عاهد الله آلا يمس مشركا ولا يمسه مشرك في مماته كما كان في حياته، فبعث الله "الوادى" فاحتمل عاصماً، ونجّا الله جثته من التمثيل بها وكان هذا إعجازاً ربانياً.

أما "ابن الدثنة" فإن "صفوان بن أمية" قد بعث به مع غلامه نسطاس إلى التنعيم، وهو مكان قريب من مكة ليقتله بأبيه فقال نسطاس: "أنشدك الله أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه، وأنك بين أهلك"، فقال "ابن الدثنة": "ما أحب أن محمداً – ﷺ– الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكه تؤذيه وأنا جالس في أهلي.. فلما سمعها أبو

سفيان، ولم يكن قد دخل الإسلام، قال: "ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمداً له"، ثم قتله نسطاس.

وثمة دروس مستفادة من هذه الغزوة، أهمها الوفاء بالعهد، والحذر من الكفار، الثقة بالله ونصره، التضحية من أجل رفع راية الإسلام، عدم الاستسلام والدفاع عن الدين والنفس حتى آخر لحظة في الحياة.



# غزوة بني النضير

- اليهود أهل غدر وخديعة وخيانة للعهود
- الاستيلاء على أسلحتهم وطردهم من المدينة

**نشأ اليهود على الغدر وخيانة العهد، كذلك الجبن عن القتال فلا يقاتلون غيرهم إلا من خلف حصون، وقد كان لغزوة بني النضير قصة تؤكد ذلك، وتوضح وفاء المسلمين بعهودهم كاملة.**

وبنو النضير من يهود المدينة كانوا يقيمون منازلهم في منطقة مرزوعة بالنخيل والأشجار تعرف "بالغرس"، وجاء في سبب غزوهم أن الرسول - ﷺ- خرج يوم السبت فصلى في مسجد قباء، ومعه نفر من أصحابه ثم توجه إلى بني النضير فكلمهم أن يعينوه في ديه رجلين كان صوات الله عليه قد آمنهم، لكن عمرو بن أميه قتلهم وهو لا يعلم أن النبي - ﷺ - قد أمنهم على أرواحهم، وقد أعلنوا في البداية إجابتهم لمطلب النبي - ﷺ - لكنهم هموا بالغدر به إذ قال عمرو بن جحاش: "أنا أصعد على البيت فألقي عليه صخرة"، فرد عليه سلام بن مشكم: "لاتفعلوا الله ليخبرن بما هممتم به"، وجاء رسول الله - ﷺ - الخبر من فوق سبع سموات، فنهض الرسول - ﷺ - سريعاً فتوجه إلى المدينة ولحق به أصحابه فقالوا: "غادرت ولم نشعر"، فرد ﷺ : "همت اليهود بالغدر، فأخبرني الله عز وجل بذلك فقمت".

وبعث رسول الله - ﷺ - إلى بني النضير محمد بن مسلمة، ليخبرهم أن الرسول يبلغهم "أن اخرجوا من بلدي ولا تساكنوني، لأنكم هممتم بما هممتم به من غدر ومنحهم الرسول - ﷺ - مهلة بلغت عشرة أيام، فمن رئي بعد ذلك في المدينة حل دمه وتم قتله"، فمكثوا عدة أيام يجهزون رحالهم واستأجروا إبلا من بعض الناس لينقلوا عليها متاعهم،

لكن إن أُبي أرسل إليهم ألا تخرجوا، وأقيموا في المدينة فإن معي ألفين من المقاتلين وغيرهم يدخلون حصونكم ويدافعون عنكم حتى يموتوا جميعهم فداء لكم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حُيي فيما قال ابن أبي وأرسل إلى رسول الله – ﷺ لم – أنهم لن يخرجوا وليصنع ما يشاء، فما كان من النبي – ﷺ – إلا أن كبر وكبر المسلمون لتكبيره، فتجمع أصحاب النبي من حوله وسار إليهم، وصلى العصر بفناء بني النضير وكان على بن أبي طالب – رضي الله عنه – يحمل رايته، واستخلف النبي – ﷺ – على المدينة المنورة ابن أم مكتوم، فلما شاهدوا النبي – ﷺ – وهو على حصونهم ومعهم النبال والحجارة، اعتزلهم بنو قريظة وخذلهم ابن أبي، فلم يرسل إليهم رجاله وكذلك حلفاؤهم من غطفان، فحاصرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – وقطع نخلهم فقالوا" "نحن نخرج عن بلادكم"، فأجلاهم عن المدنية وعهد إلى محمد بن مسلمة بإخراجهم وحملوا النساء والأطفال، ووضعوا أحمالهم على ستمائة بعير، فقال لهم رسول الله – ﷺ : "اخرجوا، ولكم أن نحقن دماءكم وما حملت الإبل إلا السلاح"، ووجد لديهم خمسين درعا وخمسين خوذة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً أخذها النبي لنفسه، وأعطى منها المسلمين.

ونخرج من هذه الغزوة بدرس ربما رأيناه حتى يومنا هذا، وهو أن اليهود نشأوا على الخيانة والغدر، وأنهم لا يقومون على مواجهة غيرهم ولا يحاربونه إلا من خلف ساتر وجدار وحصن حصين.

# غزوة الموعد "بدر الصغرى"

- الانتباه لخدع العدو وحروبه النفسية
- الوفاء بالوعد والشجاعة في الإقدام

**تقضي المبادئ الإسلامية بالحفاظ على العهد والوفاء بالوعد، كذلك التضحية في سبيل الله في شجاعة من منتقطعة النظير، وقد وفى الله ﷻ وعده لرسوله – ﷺ – وللمسلمين بنصرهم على المشركين وأعداء الدين، وكانت غزوة "بدر الموعد" أو "بدر الصغرى" شاهداً حياً على هذه الحقيقة.**

حدث أن "أبا سفيان بن حرب" ولم يكن قد هداه الله للإسلام لما أراد أن ينصرف يوم غزوة أحد نادى "الموعد بيننا وبينكم ببدر الصفراء رأس الحول نلتقي بها فنقتتل، وهو بذلك يتوعد المسلمين بمعركة أخرى ببدر عام عام، فما كان من رسول الله – ﷺ – إلا أن قال لسيدنا الفاروق "عمر بن الخطاب": "قل.. نعم إن شاء الله"، فقالها الفاروق وافترق المسلمون والمشركون على ذلك.

وتهيأت قريش للخروج لما اقترب الموعد فكره "أبو سفيان" الخروج للقتال، وتصادف قدوم "نعيم بن مسلود" الأشجعي إلى مكة فقال له "أبا سفيان".. "واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي ببدر، وقد جاء الوقت وهذا عام جدب، لم ينزل فيه المطر.. وإنما يصلحنا عام خصب، وأكره أن يخرج "محمد" وأصحابه ولا فيجترى علينا، فنجعل لك عشرين فريضة "هدية" يضمنها لك "سهيل بن عمرو" على أن تتوجه إلى المدينة،

فتخذل أصحاب "محمد"، أي تخيفهم فتجلعهم يتخاذلون عن الخروج، فوافق "نعيم"، فحملوه على بعير وسار بسرعة إلى المدينة، وأخبر أهلها بأن "أبا سفيان" قد جمع أهل قريش ومعه سلاح وعدة كبيرة لا تقدرون عليها، لم ينخدع الرسول بكلام "نعيم"، ورفض ألا يوفي بالوعد فقال – صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد"، واستخلف رسول الله – ﷺ – على المدينة "عبد الله بن رواحة"، وحمل سيدنا "على بن أبي طالب" لواء الرسول وسار معه ألف وخمسمائة، والخيل عشرة أفراس.

وخرج المسلمون ببضائع لهم وتجارات، فقد كانت بدر الصغرى مجتمعا يجتمع فيه العرب وسوقاً تقوم مع ظهور هلال ذي القعدة وتستمر لثمانية أيام تخلو منه وبعده يتفرق الناس إلى بلادهم، ووصل المسلمون إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقامت السوق في صباح يوم الهلال فأقام المسلمون بها ثمانية أيام، مدة السوق، وباعوا تجارتهم وربحوا عن كل درهم، درهماً مثله وانصرفوا، وقد سمع أهل القبائل العربية ومنهم قريش بمسيرهم التي خرجت يتقدمها "أبو سفيان بن حرب"، وعددهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى وصلوا إلى "مجنة"، وهي منطقة بعد الظهران فقال "أبو سفيان": "ارجعوا فإنه لا يناسبنا القتال إلا عام خصيب ترعى فيه ماشيتنا الأشجار ونشرب فيه لبنا منها، وهذا عام جدب"، فسمي أهل مكة هذا الجيش "جيش السّويق"، يقولون خرجوا يشربون السويق، فقال "صفوان بن أمية" لـ"أبي سفيان": "قد نهيتك أن تعد القوم (المسلمين)، وقد اجترأوا علينا ورأونا قد أخلفناهم ثم أخذوا في الكيد للمسلمين والتهيؤ لغزوة الخندق".

# غزوة الكدر

- المبادئ الإسلامية السامية وراء انتشار الدين
- مقاتلة مشركي بني سليم أول المرتدين عن الإسلام



**انتشرب العقيدة الإسلامية في ربوع الأرض وبلغ عدد المسلمين الآن ما يزيد على المليار مسلم، وذلك بفضل المبادئ السامية لهذه العقيدة التي تقف دائماً وفي كل الوقت إلى جوار الحق والفضيلة، وتكرم مخلوقات الله وتصونها، فما يتندر به العالم اليوم من مبادئ حقوق الإنسان والرفق بالحيوان وغيره فقد سبقهم الإسلام إلى ذلك بزمن يقترب من الخمسة عشر قرناً، فقد دخل رجلا الجنة، لأنه سقى كلباً بعد أن كان يوشك على الموت من شدة العطش، حيث نزل البئر وملأ حذاءه بالماء فقدمه للكلب، لم تنتشر أبداً هذه العقيدة بالسيف والعنف كما يدعي الآخرون كذباً، فالمعلم الأول محمد – ﷺ – لم يكن يبادئ بالعدوان، وكانت كل حروبه وغزواته مجرد رد على اعتداءات الآخرين، وغزوة "الكدر" تكشف كغيرها هذه الحقائق.**

والكدر "يضم الكاف وسكون الدال" هي اسم الماء يملكه بني سليم، وقد جاء في الشعر العربي، "ويشرب غيرنا كدراً وطيناً"، وحدثت هذه الغزوة حسب رواية إبن إسحاق في شوال من السنة الثانية للهجرة، أما الواقدي فرأى أنها حدثت في المحرم من العام الثالث للهجرة، وكان قد بلغ الرسول – صوات الله وسلامه عليه – أن بني سليم قد اجتمعت على ماء الكدر هذا يتآمرون لمهاجمة المسلمين، أمر الرسول – ﷺ – المؤذن ينادي

للجهاد، فأقبل المقاتلون حول الرسول وكان لواء الرسول مع على بن أبي طالب، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وسار جيش المسلمين بقيادة النبي – ﷺ – حتى وصل إلى ماء الكدر، فلم يلق قتالاً وعاد إلى المدينة ومعه نعم كثيرة والرعاء الوفير، وكانت عودة الرسول – ﷺ – في قول لعشر ليال مضين من شوال.

بعد أن وصل المصطفى – ﷺ – إلى المدينة المنورة جهز سرية من الجند قادها غالب بن عبد الله الليثي في سرية إلى بني سليم وعطفان، وهاتان القبيلتان كانتا تضمران العداوة للنبي، والمسلمون بصورة فاقت عداوة مشركي مكة، وكانوا أول المرتدين عن الدين الإسلامي بعد وفاة الرسول – ﷺ فحاربهم الخليفة الأول أبو بكر – رضي الله عنه – واستمرت عدواتهم للإسلام فتوجه الفجاءة السلمي، وكان يطلق عليه إياس بن عبد إلى أبي بكر، وطلب منه أن يعينه بالسلاح لقتال المرتدين، فأعطاه السلاح وأمره، لكنه خالف ما أوصي به، وخرج حتى نزل بمنطقة يقال لها "الجواء"، وبعث نخبة بن أبي الميثاء من بني الشريد وأمره بالمسلمين، فشن الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن، ولما بلغ ذلك أبا بكر، أرسل إلى طريفة بن حاجز يأمره أن يجمع له، ويسير إليه، وبعث إليه عبد الله بن قيس الحاشي، ولما اقتتلا هرب الفجاءة، فلحقه طريفة، فأرسله إلى الخليفة أبي بكر، فأمر بإيقاد نار وألقاه فيها.

وكانت سرية غالب بن عبد الله الليثي قد قصدت بني سليم وبني غطفان فقتلوا فيهم وغنموا منهم المغانم، واستشهد من المسلمين في هذه الغزوة ثلاثة نفر، وعادت السرية إلى المدينة في منتصف شهر شوال، وتخرج من هذه الغزوة بدروس عديدة أهمها الوعي بمكائد وآلاعيب الأعداء، واختيار القائد بعناية إضافة إلى طاعة أمر القائد، وتأكيد مبادئ الإسلام السامية.

# غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب

- كيف انتصر المسلمون في معركة غير متكافئة القوى على حزب المشركين؟
- الرسول ضرب مثلا رائعا بأخذه لمبدأ الشورى في قيادة المعركة

**تعتبر غزوة الأحزاب واحدة من أخطر وأهم الغزوات في التاريخ الإسلامي، حيث وجد المسلمون أنفسهم في مأزق كبير، فقد اجتمعت قبائل العرب وأمة الكفر على محاربة الإسلام قبل أن يشتد عوده، ولكن كان نصر الله لرسوله وللمسلمين نقطة تحول في التاريخ الإسلامي لما حققه هذا النصر من تثبيت لدعائم الإسلام والمسلمين ضد أعدائهم من المشركين.**

ويعود سبب هذه الغزوة الكبرى أنه بعد أن انتصر الرسول – ﷺ – على يهود بني النضير وأجلاهم عن المدينة خرجت منهم جماعة اتجهت إلى قريش في مكة، ثم اتجهوا إلى قبيلة عطفان وقبيلة سليم وبني أسد وبنو مرة، وعقدوا العزم جميعاً على محاربة المسلمين والخروج إليهم في المدينة.

وفي السنة الخامسة بعد الهجرة في شهر ذي القعدة خرجت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب تحت لوائه أربعة آلاف مقاتل وثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير، ووافتهم قبيلة بنو سليم بسبعمائة مقاتل وبنو أسد وفزارة بألف مقاتل، وقبيلة أشجع بأربعمائة مقاتل، وقبيلة بني مرة بأربعمائة مقاتل أيضا يقودهم الحارث بن عوف، وغيرهم حتى بلغ عدد من اشتركوا في حرب الشرك عشرة آلاف مقاتل.

وعندما علم الرسول – ﷺ – بخروج الأحزاب، وكان عدد المسلمين يومئذ ثلاثة آلاف مقاتل اجتمع بأصحابه والمسلمين في المسجد وشاورهم في الأمر، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة، ووافق المسلمون والرسول – ﷺ – على الفكرة، وخرج المسلمون ليخندقوا حول المدينة بعد أن استخلف الرسول عبد الله بن أم مكتوم على المدينة، وفي غضون ستة أيام كان المسلمون قد فرغوا من حفر الخندق حول المدينة وعسكروا عند سفح جبل سلع، وحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة، ولواء الأنصار حمله سعد بن عبادة، ولكن أبا سفيان بن حرب بعث لبعض الأنصار حيي بن أخطب يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد – ﷺ – وينضموا إلى حزبه فرفضوا ثم استجابوا، وعندما بلغ ذلك رسول الله – ﷺ – قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، أما المسلمون فقد اشتد بهم الخوف على العجائز النساء والأطفال، وكانوا كما وصفهم المولى عز وجل: "إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا".

والرسول – ﷺ – عندما رأى خطورة الأمر والهلع الذي يسيطر على جيشه بعث إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف، قائدي عطفان بأن يعطيهما ثلث ثمار المدينة بشرط أن يرجعا ومن معهما، فلما علم بذلك سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة قالا لرسول الله: "أهذا شيء تحبه أو شيء أمرك الله به"، قال صلى الله عليه وسلم: "لا بل أصنعه لأجلكم، فإن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة"، فقالا لا: "قد كنا نحن وهم على الشرك، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة فحين أذن الله بالإسلام نفعل هذا؟! مالنا إلى هذا حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا"، قال صلى الله عليه وسلم: "فأنتم وذاك".

وظل الرسول والمسلمون يحرسون الخندق، وكان النبي يبعث سلمة بن أسلم في مائة رجل وزيد بن حارثة في ثلثمائة رجل يحرسون المدينة والنساء والأطفال بداخلها، بينما يتناوب أبو سفيان وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وهبيرة بن أبي وهب الحراسة على جبهة الكفر، ولما عجز المشركون عن اقتحام الخندق عقدوا العزم على أن يبحثوا عن ثغرة للدخول منها ودخل بعض الفرسان ودارت المبارزة بين المسلمين والمشركين وفي أحد الأيام نحوا إلى رسول الله – ﷺ – بكتيبة كبيرة فيها خالد بن الوليد فقاتلوهم حتى دخل الليل دون أن يصلي رسول الله الظهر والعصر، فقال رسول الله – ﷺ : "شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة "العصر"، ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً ودعا عليهم".

وفي رواية عن هبة الله بن محمد عن عبد الله بن عبدالله بن كعب بن مالك، عن جابر قال: "دعا النبي – ﷺ – في مسجد الفتح على المشركين يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، واستجاب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فرأينا البشرة على وجهه، حتى بعث الله برياح عاتية فرقت الجمع وشتت الأحزاب".

وفي ليلة الأحزاب قال رسول الله ﷺ : "ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة"، وكانت هناك ريح شديدة فلم يجب أحد من الصحابة ثم قال: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة".. فلم يجب أحد، وفي المرة الثالثة قال ﷺ : "قم يا حذيفة ائتني بخبر القوم ولاتذعرهم عليّ"، فلمّا وصل حذيفة إلى موقع الأحزاب قال: "رأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله – ﷺ – لا تذعرهم عليّ .. فرجعت، فلما أتيت الرسول – ﷺ–

وحكيت ما رأيت ألبسني رسول الله – ﷺ– من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى أصبحت فقال صلى الله عليه وسلم: "يا نومان"، وانتصر المسلمون في غزوة الأحزاب بفضل الله ولم يقتل منهم إلا يستشهد نفر.

ويروى أن المسلمين حينما كانوا يحفرون الخندق عرضت لهم صخرة عظيمة لا تؤثر فيها المعاول فشكوا إلى رسول الله – ﷺ – فجاء الرسول وخلع ثوبه وأخذ المعول وقال: "بسم الله"، ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها فقال: "الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة"، ثم ضرب ثانية فقطع ثلثاً آخر: "فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر المدائن الأبيض"، ثم ضرب ثالثة قطع بقية الحجر وقال: "الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة".

وقد كانت هناك ثمة أسباب وراء نصر المسلمين في غزوة الخندق أو الأحزاب، منها نصر الله تعالى لرسول والمسلمين بأن أرسل ريحاً عاتية فرقت جموع المشركين، إضافة إلى القيادة البارعة لرسول الله – ﷺ – في إدارته لمعركة غيرة متكافئة القوة واستجابته لمشورة أصحابه بحفر الخندق حول المدينة مع الإبقاء على قوة لحماية المدينة، ثم محاولته تفريق الجمع بإغراء قائدي قبيلة عطفان، إلا أن الصحابة آثروا قتال من يقاتلهم.

ولعل أكبر الدروس المستفادة من غزوة الأحزاب هي صبر المسلمين واستسلامهم لمشيئة الله وقناعتهم بنصر الله، رغم كل الظروف التي قد تنذر بغير ذلك، فضلا عن عدم وقوعهم تحت تأثيرات الحرب النفسية التي مارستها عليهم الأحزاب خارج الخندق أو اليهود من داخل المدينة، وهو دليل على أن الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين إذا أخلصوا النية له واجتمعوا على نصرته.

# غزوة ذات الرقاع

- الاستسلام لأوامر القائد في الحرب
- صلاة الخوف تفرض على المسلمين

**أكد المسلمون الأوائل طاعتهم الكاملة للقائد في توجيهاته أثناء الحرب مع العدو، كما ضرب الرسول - ﷺ - المثل الأعظم في التخطيط العسكري وحقن الدماء في المعارك، فما كان صوات الله عليه يرد داعيا للسلام إلا وقد أجابه ملبيا لنداء الحلول السلمية، وقد بدا ذلك خلال غزوة "ذات الرقاع" التي حدثت بين المسلمين وبني محارب وبني ثعلبة من غطفان، عقب غزو المسلمين ليهود بني النضير والسطور القادمة تكشف التفاصيل.**

فحين هل شهر المحرم من السنة الخامسة للهجرة بعد ما فرغ المسلمون من غزوة بني النضير محققين النصر بإذن الله، قضى المصطفى - ﷺ - شهري الربيع بالمدينة، ثم توجه بجيش المسلمين إلى نجد بعدما ولى عثمان بن عفان على المدينة أثناء غيابه، وكان المصطفى يريد غزو بني "محارب"، وبني ثعلبة من قبائل "غطفان"، وسار بجيشه حتى نزل منطقة مزروعة بأشجار النخيل، ويوجد في المنطقة جبل أرضه عبارة عن رقع سوداء وحمراء وأخرى بيضاء فأطلق على هذه الغزوة "ذات الرقاع"، وتجمع الجيشان في هذه المنطقة، لكن حدث وأن خاف الناس بعضهم بعضا وبقي المسلمون ولم يحدث قتال بينهم، وقيل إن صلاة الخوف قد نزلت بهذه المناسبة، وقد اختلف الفقهاء في صلاة الخوف.

وقد حدث في هذه الغزوة أن رجلاً من محارب جاء إلى النبي – ﷺ – فطلب من النبي أن يعطيه سيفه كي ينظر إليه، فأعطاه الرسول السيف، فلما أخذه الرجل هزه وشهره في وجه النبي، وقال: "يا محمد أما تخافني؟" فرد الرسول ﷺ : "لا"، فقال الرجل: "أما تخافني وفي يدي السيف؟"، فرد النبي: "لا، يمنعني الله منك"، فأعاد الرجل السيف إليه، وقد أصاب المسلمون امرأة من محارب وكان زودها غائباً، فلما رجع هذا الزوج إلى أهله أخبروه بما حدث لزوجته فأقسم ألا يعود حتى يريق دماً في أصحاب محمد – ﷺ – وخرج يتتبع أثر المسلمين، وكان الرسول قد نزل في منطقة جبلية أثناء عودته فقال ﷺ سلم: "من يحرسنا الليلة؟"، واختار رجلا من المهاجرين وآخر من الأنصار، فأقاما على مدخل شعب نزل فيه الرسول – ﷺ – اضطجع المهاجري وحرس الأنصاري أول الليل وقام يصلي، وجاء زوج المرأة فرأى شخصاً فعرف أنه من أتباع الرسول فرماه بسهم فوضعه فيه فانتزعه واستمر في صلاته فرماه بسهم آخر فأصابه فنزعه أيضاً وواصل الصلاة، فرماه بالثالث فوضعه فيه فانتزعه وركع ثم سجد، ثم أيقظ صاحبه وأخبره بما حدث فوثب، فلما رآهما الرجل أدرك أنهما علما به، ولما رأى المهاجر ما أصاب الأنصاري قال: "سبحان الله ، ألا أيقظتني على الرمي أيقظتك وأعلمتك، وايم الله لولا خوفي أن أتسبب في ضياع ثغر أمرني رسول الله –ﷺ – بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطع الصلاة".

ونتعلم من هذه الغزوة كيف أنه ﷺ قائد عسكري من طراز فريد، حيث كان يستجيب لنداء السلام، كما كان يدرك كيف يختار المكان الآمن الذي يقيم فيه جيشه، وكيف ينظم الحراسة الليلية ويختار بنفسه الموقع الذي تقيم فيه، كما تعلمنا الغزوة طاعة أمر القائد، والإخلاص في العبادات، كذلك روح التعاون بين المسلمين في الحرب والسلم.

# غزوة بني قريظة

## - عقاب رادع لخيانة المعاهدات
## - وسرعة الاستجابة لنداء اللّه ورسوله

**ضـرب النبـي – ﷺ – المثـل الأعلـى فـي التعـايش الـسلمي مـع غيـر المـسلمين، فقـد عقـد عليـه الـصلاة والـسلام معاهـدة مـع يهـود المدينـة عقـب هجرتـه إليهـا وصـلحه بين الأوس والخـزرج، وكـان بنـو قريظـة مـن قبائــل يهــود المدينــة، وأثبــت النبــي والمــسمون وفــاءهم لعهــودهم ومواثيقهم، في حين أثبت اليهود أنه لا عهد لهم ولا خلاق، وقد أخبر أمـين الـوحي جبريـل رسـول الله – ﷺ – بخيـانتهم فوقعـت غـزوة بنـي قريظة.**

كـان شـهر ذي القعـدة يوشـك علـى الرحيـل حيـن عـاد الرسـول – ﷺ – والمسلمون إلى المدينـة مـن إحـدى غـزواتهم ووضـعوا أسـلحتهم وضـرب علـى "سـعد بـن معـاذ" قبـة في المسجد ليعوده من قريب، فلما حلت صلاة الظهر جاء الأمين جبريل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسأله إن كان قد وضع السلاح فأجابه الحبيب – ﷺ – بـ"نعم"، فرد عليه أمين الوحي أن الملائكة لم تضع السلاح، وأن الله يأمره بالسير إلى بني قريظة لغزوهم لخيانتهم عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأمر النبي منادياً أن ينادي للجهاد فنادى بأن من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة، وقدم سيدنا "علي بن أبي طالب"، برايته وتلاحق المسلمون من بعده ونزل رسول الله – ﷺ – إلى بني قريظة ولحق به عدد من الرجال فلم يجب عليهم.

ضرب الرسول والمسلمون حصاراً حول بني قريظة استمر ما بين الشهر والخمس والعشرين ليلة، فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى النبي - ﷺ - يطلبون منه أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر وهو أنصاري من الأوس حتى يستشيره، فأرسله النبي إليهم، فلما رأوه أسرع إليه رجال بني قريظة وبكت نساؤهم وأطفالهم فرق لهم قلبه لأنهم مواليه، فلما أدركوا ذلك قالوا له: "نرضى بحكم رسول الله"، فقال لهم: "نعم"، وأشار بيده إلى حلقة، أي أن ذلك يعني ذبحهم، وبعد ذلك أدرك "أبو لبابة" أن قدماه قد زلت، وأنه خان الله ورسوله فقال: "والله لا أقيم بمكان عصيت الله فيه، وانطلق على وجهه حتى استقر في المسجد"، وقال: "لن أغادر هذا المكان حتى يتوب الله عليّ".. فتاب الله عليه وأطلقه رسول الله ﷺ.

بعد هذه الواقعة نزل بنو قريظة على حكم رسول الله - ﷺ ، فقال الأوس يا رسول الله: "افعل في موالينا مثل ما فعلت في موالى الخزرج ويقصدون بني قينقاع"، فرد النبي - ﷺ — عليهم: "ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ"، فقال الأوس: "بلى يا رسول الله"، فتوجه إليه قومه فحملوه على حمار، وذهبوا بصحبته إلى رسول الله - ﷺ - وهم يقولون: "يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك"، فلما كثروا عليه قال: "قد آن لـ"سعد" ألا تأخذه في الله لومة لائم"، فعلم كثير منهم أنه سيحكم عليهم بالقتل، فلما وصل سعد إلى مجلس رسول الله - ﷺ - قال للأوس: "قوموا إلى سيدكم فقاموا إليه وأنزلوه"، وقالوا: "يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك"، فقد رد رسول الله - ﷺ - إليك الحكم فيهم، فقال لهم: "عليكم عهد الله وميثاقه هل الحكم فيهم إليّ؟!"، فأجابوه "نعم"، فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها رسول الله - ﷺ - وغض بصره عن النبي - ﷺ - إجلالا للنبي وسأل: "وعلى من

هھنا العهد أيضاً؟" فأجابوه: "نعم"، وقال الرسول – ﷺ – أيضا "نعم"، فقال سعد حكمه: "إني أحكم أن تُقتل المقاتلة، وتسبى الذرية والنساء وتقسم الأموال"، فقال رسول الله – ﷺ : "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات".

وعقب صدور الحكم على بني قريظة تم إنزالهم من دورهم وحبسهم في دار امرأة من بني النجار تدعى بنت الحارث، ثم خرج الرسول – ﷺ – إلى سوق المدينة، وحفروا لهم عدة خنادق، ثم جاء بمقاتلي بني قريظة وضرب أعناقهم في هذه الخنادق، ومن بينهم حُيي بن أخطب وكعب بن أسد سيد بني قريظة، وكان عددهم ما بين ستمائة أو سبعمائة، وقيل إنهم ما بين سبعمائة لثمانمائة، وجاءوا بحُيي بن أخطب مكتوفي اليدين، فلما رأى النبي – صلى الله عليه وسلم قال: "والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يخذل الله يُخذل"، ثم قال للناس: "إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل، ثم أجلس وضربت عنقه".. ولم تقتل من بني قريظة إلا امرأة واحدة، فقتلت بحدث أحدثته، وقتلت أرفة بنت عارضة، وأسلم منهم ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد.

قسم رسول الله – ﷺ – أموالهم فكان نصيب الفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، أما الرجل الذي ليس له فرس فله سهم واحد، وكانت الخيل ستاً وثلاثنين فرساً.. وأخرج الرسول من هذه الأموال الخمس، وقد اصطفى النبي – ﷺ – لنفسه ريحانة بنت عمرو بن صنُافة من بني قريظة فأراد أن يتزوجها فقالت: "اتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك".. فما انقضى أمر بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ واستجاب الله لدعائه، وكان في خيمته التي في المسجد، فحضره رسول الله – ﷺ وأبو بكر وعمر بن الخطاب، وقالت السيدة عائشة: سمعت بكاء "أبو بكر" و"عمر" عليه وأنا في حجرتي، وأما النبي – ﷺ – فكان لا يبكي على أحد، فكان إذا اشتد حزنه أمسك بلحيته، ونتعلم

في إطار الصراع بين المسلمين واليهود أن اليهود من بني إسرائيل لا عهد لهم ولا خلاق، كذلك لابد أن نطيع أمر الله ورسوله ونسرع لتنفيذه، وألا تأخذنا في الله لومة لائم.

# غزوة بني ثعلبة أو غطفان أو أنمار

## - خير وسيلة لمواجهة غارات العدو البدء بمهاجمته
## - هروب المشتركين إلى رؤوس الجبال خوفا من المسلمين



**شُيد بناء العقيدة الإسلامية على منح الإنسان كامل حريته في اختيار دينه وعبادته، فلم يكره الرسول – ﷺ – أحداً على اعتناق الإسلام، فكل إنسان له مطلق الحرية في اختيار عقيدته، وكان ﷺيعقد المعاهدات مع غير المسلمين ويلتزم بتنفيذ تفاصيلها، وقد أوصى بعدم التعرض لغير المسلم أو إيذائه فأوصى أصحابه بأن من اعتدى على صاحب ذمه فكأنما اعتدى عليه هو ﷺ.**

ولكنه كما كان شديداً في احترام حقوق الآخرين ويغضب إذا تجاوزها أحد أفراد الدولة الإسلامية التي وضع أركانها بعد هجرته إلى المدينة، فقد كان أيضا ﷺ شديد الغضب إذا ما اعتدى أحد على مسلم أو هدده بالإيذاء، وقد حدثت غزوة بني ثعلبه أو غزوة غطفان أو غزوة أنمار، كما وردت بالأسماء الثلاثة، لأن جمعا من الكفار جمعوا شملهم كي يهاجموا المسلمين.

ولأنه ﷺ قائد عسكري من نظام فريد ولن يتكرر فقد رأى أن خير وسيلة للدفاع هي البدء بالهجوم على العدو، فحين بلغه أن جمعا من ثلعبة بن سعد بن ذبيان ومعهم بني محارب بن حفص قد أعدوا عدتهم وجمعوا قوتهم العسكرية لمهاجمة المسلمين والإصابة منهم، وكان ذلك في شهر المحرم من السنة الثالثة لهجرته – ﷺ – إلى المدينة، لم يجد النبي بداً من أن يأمر منادي المسلمين بالدعوة للقتال، فلما سمع فرسان المسلمين داعي الجهاد

لبوا على الفور النداء وتجهزوا للخروج لقتال أعداء الإسلام، وحين تجمعوا حول النبي – ﷺ– وكانوا من المهاجرين والأنصار أخبرهم بما أعدت له قبيلتي بني ثلعبة، وبني محارب، وأشار عليهم بالخروج فلبوا قوة دون تردد، فهم على يقين من أن أمر المصطفى ﷺ واجب النفاذ.

فجهز الرسول – ﷺ – جيشاً ضم أربعمائة وخمسين من المقاتلين المسلمين وتوجه به إلى حيث تجمع الأعداء من الكفار، وسار جيش المسلمين بقيادة الرسول – ﷺ – حتى وصل إلى منطقة يقال لها "ذي القصة"، فالتقى عندها برجل من بني ثعلبة فدعاه ﷺ لاعتناق الدين الإسلامي، فأجاب الرجل الدعوة وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فسأله الرسول – ﷺ – عن أخبار القوم الذين جمعوا عدتهم لمحاربته فقال الرجل: ""يا رسول الله إن خبر مسيرك بجيش المسلمين قد بلغ هؤلاء القوم، فدبت بينهم الفرقة وأصابهم الرعب فهربوا وتفرقوا، وصعدوا إلى رؤوس الجبال بنسائهم وأطفالهم حتى لا يموتوا على يد المقاتلين المسلمين"، فانتظر الرسول عودتهم لكنهم ظلوا هاربين، فلم يجد – ﷺ – بداً من العودة إلى المدينة دون أن يلقى كيداً ولا قتالا، وبلغت مدة هذه الغزوة منذ خروج النبي – ﷺ – من المدينة حتى عودت اثنتي عشرة ليلة كاملة.

ومن هذه الغزوة نخرج بدروس هامة منها أن الرسول لم يُكره أحداً على اعتناق الإسلام، وأن المشركين لم يحتملوا مواجهة جيش المسلمين، بالإضافة إلى استجابة النبي – ﷺ – دائماً لعدم القتال وحقن الدماء.

# غزوة الحديبية

- لماذا رفض قتال المشركين في خروجه للبيت الحرام؟
- صلح الحديبية كان نصراً للمسلمين وليس العكس

**وقعت غزوة الحديبية في السنة السادسة للهجرة في وقت كان قد تزايدت فيه أعداد المسلمين، وقويت شوكتهم بين قبائل الجزيرة العربية بعد أن منّ الله عليهم بأكثر من نصر على جحافل المشركين.**

وفي وقت كان المشركون يترقبون أحوال المسلمين ويكيدون المكائد لهم من آن لآخر، أراد الرسول في ذي القعدة سنة ست أن يخرج للعمرة شاكراً ومُجاهداً لله على نصره لرسوله وللإسلام، فاستنفر رسول الله أصحابه للخروج معه فاستجاب عدد كبير منهم وتهيأوا للذهاب مع رسول الله إلى بيت الله الحرام.

وتهيأ رسول الله للحج الأصغر، فقام ودخل بيته واغتسل ولبس ثوبين وركب راحلته القصواء متوجها إلى مقصده بعد أن استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم يقوم بشؤونها حتى مجيء رسول الله من عمرته.

خرج الرسول هو وأصحابه وليس في نيته قتال، حيث لم يأخذ معه إلا السيوف في القرب، وساق بدنا وساق أصحابه أيضاً بدنا فصلى الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بالبُدن التي ساقها فجللت ثم أشعرها في الشق الأيمن وقلدها وأشعر أصحابه أيضاً، وهي سبعون بدنة فيها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر، ليغيظ المشركين بذلك، وأحرم ولبى، وقيل أنه خرج مع الرسول من المسلمين ألف وستمائة، وقيل ألف وأربعمائة ويقال ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً، كما اصطحب الرسول - ﷺ- معه زوجته أم سلمة - رضي الله عنها.

وكان المشركون على علم بخروج رسول الله وأصحابه إلى المسجد الحرام، فاجتمع زعماؤهم الذين يجهدون بعدائهم وبغضهم لمحمد وأصحابه وقرروا فيما بينهم استغلال هذه الفرصة لمحاربة محمد وأصحابه وقرروا فيما بينهم استغلال هذه الفرصة لمحاربة محمد، وخرجوا لصده عن المسجد الحرام.

نظم المشركون صفوفهم وفي اعتقاد جحافلهم أنهم سينتقمون من المسلمين لما حدث ببدر وعسكروا بمكان "بلدح"، وبعثوا بفصيلة منهم قوامها مائتي فارس إلى كُراع الغميم، يقودها خالد بن الوليد.

وواصل رسول الله والمسلمون تقدمهم حتى نظروا إلى خيل خالد بن الوليد يقترب منهم، وأمر رسول الله عباد بن بشر فتقدم في خيله فأقام بإزائه وصف أصحابه، وواصل الرسول سيره حتى دنوا من الحديبية على بعد تسعة أميال من مكة، ولكن أثناء السير وقفت راحلة الرسول، وبركت وظل المسلمون يزجرونها إلا أنها أبت فقال أصحاب الرسول: "بركت ولكن حبسها حابس الفيل"، ثم زجها رسول الله فقامت وعاد بأصحابه ومن معه من المسلمين حتى نزل بالناس على ثمد الحديبية قليل الماء، وهنا ظهرت معجزات النبوة التي سربها المسلمون، حيث انتزع رسول الله من كنانته فغرزه في البئر فارتفعت لهم بالكثير من الماء، فشرب المسلمون وشربت إبلهم كماء مطرت السماء بالحديبية مراراً وكثرت المياه فاطمأن المسلمون لحالهم وشكروا الله على نعمته عليهم.

وجاء إلى رسول الله بديل بن ورقاء وركب معه وأخبره بأن المشركين قد اجتمعوا على قتاله وصده عن المسجد الحرام، فقال له رسول الله إنه وأصحابه خرجوا ليطوفوا بالبيت، وأنهم لم يأتوا لقتال أحد، وأخبر ﷺ بديل بأن المشركين إذا صدوه عن المسجد الحرام، ففي ذلك إعلان للقتال بينهم.

وجعلت الرسل تختلف بين رسول الله وأعدائه من المشركين، وفي كل مرة يؤكد الرسول أن المسلمين جاءوا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمته، وأنهم لم يأتوا لقتال أحد، بينما ظل المشركون على عنادهم ورفضوا دخول الرسول وأصحابه مكه هذا العام على أن يأتيها العام المقبل.

وانتهت المفاوضات بين المسلمين والمشركين، بأن أرسل المشركون سهيل بن عمرو في عدة رجالهم فقعد مع الرسول صلح الحديبية الذي جاء فيه وقف الحرب بين المسلمين والمشركين عشر سنين يأمن فيها الناس على أنفسهم وأموالهم وأهلهم ،كما جاء في شروط هذا الصلح أن من أحب أن يدخل في عهد قريش ودينهم فعل وإذا أتى أحد من قريش محمداً بغير إذن وليه رده إليه، بينما من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه، وكذلك يرجع محمد عن البيت الحرام عامة هذا بأصحابه، ويدخل عليه قابلاً في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً، ولا يدخل سلاح إلى سلاح المسافر وهو السيوف في القرب.

وجاء في نص ما كتب بين المسلمين والمشركين: "وهذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم فعل، وأنه من أتي محمد آمنهم بغير إذن وليه رده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمدا يرجع عنا عامة هذا بأصحابه، ويدخل علينا قابلا في أصحابه فيقيم بها ثلاثا، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب، وقد حقق المسلمون بهذا الصلح مكاسب عديدة، منها زيارة بيت الله الحرام دون اعتراض من المشركين، وكذلك وضع الحرب عشر سنين من الطرفين، وهي فترة كانت كافية لانتشار الإسلام وتزايد أتباعه

في أنحاء شبه الجيزيرة العربية، كما أكد هذا الصلح أن المسلمين لم يكونوا يخيرون القتال مادام هناك طريق آخر لتحقيق ما يصبون إليه، وهو ما تأكد في قوله الرسول: "ما جئنا لقتالهم"، وهي الرسالة التي وعاها المشركون وقاموا بعقد الصلح مع رسول الله.

# غـزوة خـيـبر

- لماذا اختار رسول اللّه الاستيلاء على حصون اليهود واحداً تلو الآخر؟
- على بن أبي طالب ضرب أروع مثل لحب المسلمين في الجهاد



**لم يمكث الرسول والمسلمون بالمدينة طويلاً بعد العودة من الحديبية، وإقامة الصلح مع قريش، حيث خرج – ﷺ – سنة سبع هجرية إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فارس، بينما تخلف عن الخروج على بن أبي طالب لرمد قد أصابه في عينيه.**

وسار رسول الله ومن معه من المسلمين حتى نزلوا بمنطقة تسمى "الرجيع"، وهي منطقة قصدها الرسول ليحول بين أهل خيبر وحلفائهم من أهل غطفان التي أرادت مناصرة خيبر في البداية، ولكنها عادت وتراجعت خوفاً أن يخلفهم المسلمون في أهليهم وأموالهم.

واصل جيش المسلمين تقدمه حتى نزل على خيبر ليلا دون علم أهلها الذين خرجوا عند الصباح إلى عملهم فلما وجدوا الرسول – ﷺ – عادوا مرة أخرى، وقالوا من هول المفاجأة "محمد والخميس"، يعنون الجيش، وهنا حقق الرسول وأصحابه عنصر المفاجأة على أعداء الإسلام الذين ظلوا في ديارهم خائفين، فما كان من الرسول إلا أن ضيق عليهم الخناق، وبدأ في الاستيلاء على حصونهم واحداً تلو الآخر، فكان أول حصن افتتحه المسلمون هو حصن ناعم، وقتل نفر قليل من أهل الحصن، كما أصاب الرسول – ﷺ – منهم سبايا، من بينهم صفية بنت حُيي بن أخطب، وشكر المسلمون الله على هذا النصر.

وتوالت الفتوحات على المسلمين، فتم فتح حصن الصعب الذي كان أكثر حصون خيبر طعاماً، ثم قصد الرسول حصن الوطيح والسلالم، وحاصرهم رسول الله - ﷺ - حتى سألوه أن يحقن دماءهم ويسيرهم، فأجابهم إلى ذلك رسول الله، وكان قد حاز الأموال كلها، الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم.

ولما سمع أهل فدك بفتوحات المسلمين ومعاملتهم مع أهل الحصون التي دخلوها، بعثوا إلى رسول الله - ﷺ - يسألونه أن يسيرهم مقابل أخذه أموالهم، فتم لهم ذلك، وعندما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله - ﷺ - أن يعاملهم في الأموال على النصف وأن يخرجهم إذا شاء فساقهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا، ولما استقر رسول الله - ﷺ - أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية مسمومة فوضعتها بين يديه، ولكن رسول الله أخذ منها مضغة وقال: "إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة، وكانت هذه إحدى المعجزات التي أنعم الله لها على رسوله".

هذا وقد تجلت في غزوة خيبر العديد من المواقف البطولية التي عرفت عن المسلمين في معاركهم مع جحافل المشركين وكانت أبرز هذه المواقف، ما أظهره محمد بن مسلمة بن براعة في فنون القتال، عندما تقاتل طويلا مع مرحب اليهودي من خيبر الذي خرج على المسلمين طالباً المبارزة، فحمل عليه بن مسلمة فضربه فأرداه قتيلاً وقيل: "إن الذي قتل مرحباً وأخذ الحصن على بن أبي طالب، وهو الأشهر والأصح، وكذلك خرج من بعد مرحب أخوه ياسر فقتله على بن أبي طالب، والذي لحق برسول الله في خيبر، رغم الرمد الذي أصاب عينيه، وهنا ضرب علي مثلاً في حب الجهاد بجوار رسول الله، وقد أبلى بلاء حسنا في قتاله لليهود من أهل خيبر وأظهر بطولات تفوق حد الخيال.

ويقول أبو رالع مولى رسول الله – ﷺ : "خرجنا مع على بن أبي طالب، حيث بعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – برايته إلى خيبر، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه".

وثمة أسباب أخرى كانت وراء انتصار المسلمين في غزوة خيبر غير الروح البطولية للمسلمين في القتال، منها عبقرية الرسول – ﷺ – في إدارته للمعركة، فقد آثر الرسول منذ البداية أن يستولي على الحصون واحداً تلو الآخر، لكي يستفيد من العامل النفسي لدي اليهود بعد تساقط حصونهم واحداً وراء الآخر، كما أن رسول الله اختار أن يعسكر جيشه بمنطقة الرجيع، وبالتالي يحول دون مناصرة أهل غطفان لليهود، وهو ما توج بتحقق نصر كبير للمسلمين في خيبر.

# غزوة دومة الجندل

## - حرب لنشر الأمن والسلام يقودها جيش الرسول

**احتوت شبه الجزيرة العربية قبل قدوم الإسلام على العديد من العادات السيئة التي أهانت الإنسان، واعتدت على حقوقه وأمواله، فانتشر قطاع الطرق إلى جانب من يستعبدون أمثالهم من البشر، وقد وقف الرسول - ﷺ - في وجه هؤلاء المعتدين لنشر الأمن والسلام في ربوع الجزيرة العربية وإقامة دولة الفضيلة والخير، وقد حدثت غزوة دومة الجندل لهذه الأسباب ومن أجل تحقيق هذه المبادئ السامية.**

وقعت غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول من السنة الخامسة لهجرة النبي ﷺ ، وذلك حين بلغ الرسول - ﷺ - أن بمنطقة دومة الجندل يوجد جموع كثيرة من الناس يثيرون الفزع والرعب بهذه المنطقة، فهم يظلمون من مر بهم، فيقطعون عليه طريقه ويسلبونه أمواله، وكانت المسيرة بين دومة الجندل والمدينة المنورة ما بين خمس عشرة ليلة أو ست عشرة ليلة، فندب رسول الله - ﷺ - الصحابة للقتال، واستخلف على المدينة أثناء غيابه "ابن غرفطة"، وخرج جيش الرسول - ﷺ - وكان قد بقي من شهر ربيع الأول خمس ليال فقط، وعدد المسلمين ألف مقاتل، وكان الجيش يسير الليل ويكمن بالنهار، وكان الدليل لجيش المصطفى - ﷺ - شخص يقال له "مذكور"، فلما وصل المسلمون إلى دومة الجندل هجموا على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب، وتفرقت جموع أهل دومة الجندل ولاذوا بالفرار، ولم يجد الرسول - ﷺ - بساحتهم أحداً، وأخذ منهم رجلاً

فسأله عنهم، فقال الرجل لرسول الله – ﷺ : "هربوا حين سمعوا أنك أخذت نعمهم"، فعرض عليه الإسلام، فأسلم ورجع رسول الله – ﷺ – إلى المدينة المنورة ومعه المغانم التي أصابها من أهل دومة الجندل، وكان هذا لعشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر، ولم يلق من الأعداء كيداً ولا قتالاً.

وتكشف لنا هذه الغزوة أن المبادئ الإسلامية التي تهدف إلى نشر الأمان والسلام في ربوع الأرض والقضاء على كل صور الفساد التي تهدد هذا الأمن، وقد أثبتت هذه الغزوة أن الإسلام لم يرغم أحداً بالسيف على الدخول فيه واعتناقه، كما تكشف غزوة دومة الجندل أيضاً عن طبيعة الدين الإسلامي ومقاومته كل أشكال الإرهاب منذ قرون طويلة، وأن ما يحاول بعض الأعداء إلصاقه به من تهم بدعوته للإرهاب وتشجيعه له ما هي إلا افتراءات كاذبة.

# غزوة بني لحيان

- حرب معنوية نالت من كفار مكة وأعوانهم
- سرية جمع القوات درس من محمد ﷺ في فنون الحرب

**دروس عظيمة تركها لنا رسول الله – ﷺ – في فنون الحرب، وكيف نبذل كل الجهد من أجل الثأر من الأعداء وتأديبهم، كان – ﷺ – يجاهد في سبيل نشر الإسلام وإعلاء كلمته، وكذلك كان يهتم بتعمير الدنيا، فهو القائل معناه أنه إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم غرساً فليغرسه.**

شهدت غزوة بني لحيان على هذه الحقائق، فبعد أن أرسل المصطفى – ﷺ – وفداً من أصحابه وجعل عاصم بن ثابت أميراً عليهم، مع "جماعة"؛ من أهل عضل والقارة، ليعّلموهم القرآن وفقه الإسلام لكنهم غدروا بهم، واستدعوا لهم أهل "لحيان" فقتلوا أصحاب النبي، علم الرسول – ﷺ – بذلك وغضب غضباً شديداً وقرر الانتقام من الخونة الغادرين، ونادى المؤذن يجمع المسلمين في المدينة للقتال، فتسابق أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، لتلبية نداء الجهاد وشاركوا الرسول – ﷺ – غضبه لما أصاب عاصم وصحبه وما حدث مع خبيب بن عدي.

"ولأن الحرب خدعة" ذلك المبدأ العسكري الذي أرساه النبي – ﷺ – فتظاهر أنه متجه إلى الشام حتى لا يتم نقل أخبار جيش الرسول إلى المشركين من بني لحيان ويأخذوا حذرهم، لأن النبي – ﷺ – كان يريد أن يباغتهم، وكان ذلك في جمادى الأولى من السنة السادسة لهجرته ﷺ إلى المدينة المنورة.

سار جيش محمد – ﷺ – وأسرع في الطريق حتى وصل إلى منطقة يقال لها "غران" وهي التي يعيش فيها بنو لحيان وتوجد منازلهم، وتقع هذه المنطقة بين أمج وعُسفان، وكانت المفاجأة أن خبراً حذرهم من انتقام الرسول – ﷺ – وسيره إليهم بجيش لتأديبهم، فما كان منهم إلا أن صعدوا إلى رؤوس الجبال العالية واحتموا فيها، ذلك التصرف الذي لجأ إليه عاصم وصحبه حين غدروا بهم، لكن المشركين منحوهم الآمان ثم غدروا بهم، وهذا تصرف لا يرضى عنه الرسول فليس من صفاته صلى الله عليه وسلم الغدر حتى ولو مع عدو له.

فلما شاءت قدرة الله ألا يصيب الرسول، من بني لحيان ما قصده منهم وهو الانتقام لأصحابه وعقابهم على الخيانة والغدر، قرر – ﷺ – تحقيق هدف إستراتيجي وانتصار معنوي، فخرج المصطفى الكريم في مائتين من الفرسان وساروا حتى نزلوا بعسفان ليخوفوا أهل مكة التي لا يشغل كفارها إلا القضاء على الرسول – ﷺ – ودعوته، القضاء على أصحابه، وقد أرسل – ﷺ – فارسين من أصحابه حتى بلغا منطقة يقال لها كراع الغميم، وبعد أن حقق المصطفى أهدافه المعنوية من مسيرة هذا الجيش، ودب الرعب في صدور كفار مكة وأيضاً بني لحيان، عاد سالما هو ومن معه من المسلمين إلى المدينة.

وتترك لنا هذه الغزوة دروساً وعظات في مجالات شتى منها ضرورة سرية أعمال التجهيزات العسكرية، وأهمية الحرب المعنوية، وضرب لنا الرسول – ﷺ – مثلا في الرأفة والنبل يتمثل في عدم ملاحقة الكفار والأعداء إذا ولوا مدبرين.

# غزوة ذي قرد

## - سلمة بن الأكوع يضرب المثل في الدفاع عن أموال المسلمين
## - الترويح عن المقاتلين لرفع روحهم المعنوية

**للحرب في الإسلام مبادئ سامية فالجيوش الإسلامية لم تبادر بالإغارة على قوم إلا إذا تعرضت للاعتداء أو حدث تجاوز من الأعداء تصيب أوامر الله سبحانه وتعالى ومقدساته، وقد سجل المقاتل الإسلامي تمسكه بحقه حتى آخر نفس في صدره، حتى يعيده أو ينال عنه الشهادة في سبيل الله.**

وقد كانت غزوة ذي قرد أو "غزوة ذي قرد" التي روى تفاصيلها "سلمة بن الأكوع الأسلمي" خير تأكيد على ذلك وتقول تفاصيلها، إنه عقب عودة المصطفى – ﷺ– إلى المدينة من صلح الحديبية، بعث المصطفى بالإبل التي يستخدمونها في الركوب وحمل الأثقال "رباح" غلامه، وكان معه "سلمة بن الأكوع" بفرس "طلحة بن عبيد الله"، فلما حل عليهما الصبح أغار "عبد الرحمن بن عيينة بن حصن" من قبيلة فزارة على إبل رسول الله – ﷺ – وقتل راعي هذه الإبل، فقال "سلمة" يا "رباح" خذ هذا الفرس فأوصله إلى "طلحة"، وأخبر النبي – ﷺ– أن المشركين قد أغاروا على إبله، ثم وجه "سلمة" وجهه تجاه ربوة مرتفعة، ونادى ثلاث مرات يا صباحاه وخرج خلف المعتدين يرميهم بالنبال، وهو يرتجز الشعر ويقول خذها وأنا ابن "الأكوع".. واليوم يوم الرضع".

أضاف "سلمة" مقسماً بالله أنه ظل يرميهم ويصيبهم فإذا خرج إليه أحد فرسانهم استتر في جذع شجرة ورماه بالسهم فأصابه، وإذا دخلوا مضايق الجبل رماهم من فوقه

بالحجارة، وظل على هذه الحالة حتى استعاد كل إبل الرسول صلى الله عليه وسلم، وتركوها له ثم واصلوا فرارهم وألقوا على الأرض أكثر من ثلاثين رمحاً وثلاثين بردة حتى يخفضوا أحمالهم ويتمكنوا من الهرب، فكانوا إذا ألقوا شيئاً أضع عليه أماره حتى يصلي صاحبه إليه بسهولة حين يجمع المسلمون الغنائم، وعندما وصلوا إلى منطقة ضيقة عند ثنية جبل جاءهم مدد عيينة بن حصن بدر فجلسوا يأكلون وقت الضحى، فلما رآني قال "ما هذا؟.. فقالوا إنهم لقوا منه مطاردة عنيفة واستنفدوا كل أسلحتهم، فظل "سلمة بن الأكوع" في مكانه حتى شاهد فرسان الرسول – ﷺ – قادمة من خلال الأشجار وفي مقدمتهم الأخرم الأسدي واسمه "محرز بن نصلة"، من بني أسد بن "خزيمة" ويتبعه "أبو قتادة" وخلفهما "المقداد بن عمر الكندى"، فأمسك "أبو سلمة" بعنان الأخرم وحذره من دخول المعركة قبل أن يلحق به الرسول وأصحابه فقال الأخرم: يا "سلمة" إذا كنت تؤمن بالله واليوم الآخر في لاتحل بيني وبين الشهادة في سبيل الله، وتركه فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة "فطعن" عبد الرحمن "الأخرم" واستشهد في سبيل الله، ولحق "أبو قتادة فارس رسول الله – ﷺ – بعبد الرحمن فطعنه، وفر المشركون هاربين، فراح "سلمة" يتبعهم عدوا حتى كان لا يرى من فرسان المسلمين إلا غبار الخيل.

وحين اقترب الغروب توجه المشركون إلى غار فيه ماء يقال له "ذي قرد" والذي حملت الغزوة اسمه كي يشربوا، وكانوا عطاش، فشاهدوا سلمة يعدو خلفهم فهربوا ولم يشربوا قطرة ماء، وواصلوا هربهم فراح يرشق بعضهم على ثنية الجبل فأمسك بهما وقادهما إلى الرسول – ﷺ – ولحق بـ"سلمة" عمه "عامر" ومعه إناء فيه لبن وآخر فيه ماء، فتوضأ وصلى وشرب ثم توجه إلى النبي – ﷺ – وكان عند الماء الذي حرمهم منه، وإذا النبي قد أخذ إبله التي تم إنقاذها من العدو وما تركوه من رماح وعباءات، وكان بلال قد نحر

للمسلمين ناقة وهو يشوي منها فقال "سلمة"، يا رسول الله دعني أختر مائة رجل فلا أترك فيهم عين تطرف، فضحك رسول الله – ﷺ – وقال: "إنهم ليقروا بأرض غطفان".. وجاء رجل من غطفان، وقال: "نحر لهم فلان جزورا، فلما أزلوا عنها جلدها شاهدوا غباراً فظنوا أن المسلمين قد لحقوا بهم فتركوها وولوا هاربين".

وحين أقبل الصباح قال الرسول – ﷺ : "خير فرساننا "أبو قتادة" من يحارب على فرس.. وخير رجالنا.. من يحارب بلا فرس "سلمة بن الأكوع"، وأعطى الرسول "سلمة" سهم الفارس وسهم الراجل ثم جعله يركب خلفه على دابة الرسول التي تسمى "العضباء" وأثناء سيرهم كان يوجد رجل من الأنصار لا يقدر أن يسابقه أحد فقال، ألا من مسابق عدة مرات، فقال "سلمة": "يا رسول الله بأبي أنت وأمي ائذن لي أن أسابق الرجل"، فقال النبي لـ"سلمة": "إن شئت فاهبط من خلف النبي، فتسابق مع الرجل ولحق به وسبقه"، فقال: "سبقتك والله سبقه والله وسبقه إلى المدينة وبعد ثلاثة أيام خرجوا إلى غزوة خيبر".

وفي هذه الغزوة دروس عديدة أهمها عدم المبادرة بالاعتداء، والدفاع عن الحق بكل ما نملك من قوة، كذلك عدم التهاون في الدفاع عن حقوق المسلمين، بالإضافة إلى عدم إغفال ما يروح عن النفس لرفع الروح المعنوية.

# غزوة بني المصطلق من خزاعة

## - مواجهة فتنة عبد الله بن سلول بحكمة شديدة

## - الرسول أعطى درسا في الإحسان لمن يسيء إليه

**تلعب الفتنة دوراً خطيراً في هدم روح التعاون بين المقاتلين، وقد تأخذهم إلى حرب داخلية تقضي عليهم إذا لم يتم علاجها بحكمة شديدة، وكان النبي – ﷺ – من أكثر القادة حكمة وقراءة أحداث المستقبل، وفي إدارته ﷺ لما أراد أن يفعله عبد الله بن ابي بن سلول من فتنة بين المهاجرين والأنصار درس من أعظم الدروس، وحدث ذلك عقب فراغ المسلمين من قتال المشركين في غزوة بني المصطلق من خزاعة.**

حدثت هذه الغزوة في شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة، عقب غزوة "ذي قرد" التي انتصر فيها المسلمون بعد أن طاردوا المشركين الذين أغاروا على إبل رسول الله – ﷺ – كان قد بلغ النبي – ﷺ – أن بني المصطلق قد تجمعوا لقتال المسلمين ويقود جيشهم الحارث ابن ضرار "أبو جويرية" زوج النبي – ﷺ – وخرج الرسول بجيش المسلمين إلى بني المصطلق لقتالهم والتقى بهم عند عين ماء لهم تسمى "المر يسيع" بناحية "قديد"، ودار قتال عنيف انتهى بنصر المسلمين.

وأخذ المسلمون سبايا عديدة من الأعداء بينهم جويرية بنت الحارث ابنة قائد جيش الكفار، وأثناء توزيع السبايا كانت جويرية من نصيب ثابت بن قيس بن شماس، ويقال

لابن عم له فأرادت أن تفاديه عن نفسها، وطلبت من النبي إعانتها على ذلك فقال لها المصطفى - ﷺ - أقضي كتابك وأتزوجك فوافقت، فتزوجها، وسمع الناس من المسلمين بالخبر فأعتقوا العديد من أهل "جويرية"، لأنهم أصهار رسول الله، وبلغ عدد الذين أعتقوا من بني المصطلق قرابة المائة بيت، فما كانت امرأة أعظم بركة على أهلها من "جويرية".

وحدث أن المسلمين كانوا يردون الماء فتشاحن جهجاه الذي كان أجيراً عند سيدنا عمر بن الخطاب وسنان الجهني حليف بني عوف من الخزرج واقتتلا فصرخ الجهني: "يا معشر الأنصار" فصرخ جهجهاه "يا معشر المهاجرين"، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وكان عنده جمع من قومه وفيهم غلام صغير هو زيد بن أرقم فقال ابن سلول: "قد فعلوها، لقد كاثرونا في بلادنا أما والله إن رجعنا — ويقصد إلى المدينة — ليخرجن الأعز منها الأذل، "ثم توجه إلى الحاضرين من قومه وقال لهم: "هذا ما فعلتم بأنفسكم، احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى بلاد غير بلادكم"، وسمع زيد هذا الكلام فمشي إلى النبي، وأبلغه به وكان عمر بن الخطاب يجلس مع النبي — ﷺ فقال: "يا رسول الله مر بقتله — يقصد بن سلول — عباد بن بشر"، لكن النبي رد عليه بأنه كيف أفعل ذلك فيقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وارتحل النبي - ﷺ - إلى المدينة في ساعة لم يكن يرحل فيها حتى يقضي على هذه الفتنة قبل أن تشتد.

وأثناء رحيل النبي قابله أسيد بن حضير فسلم على النبي - ﷺ- وسأله عن سر رحيله في هذا الوقت الذي لم يكن يرحل فيه؟ فرد عليه المصطفى إن كان قد بلغه ما قال عبد الله بن أبي بن سلول، فأجابه أسيد بن حضير أنه لم يعلم، فقال له النبي - ﷺ - أنه زعم إذا رجع إلى المدينة ليخرجن الأغز منها الأذل!! فما كان من أسيد إلا أنه قال: "فأنت والله تخرجه إن شئت فإنك العزيز وهو الذليل"، ثم قال: "يا رسول الله ارفق به،

فوالله لقد من الله بك علينا وكان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكاً عليهم، وهو يرى أنك قد استلبته ملكه".

وحين سمع عبد الله بن أبي بن سلول أن الخبر قد بلغ النبي – ﷺ – توجه إلى النبي وحلف له أنه لم يقل هذا الكلام، وكان بن سلول في قومه شريفاً فقالوا: "يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أخطأ فأنزل الله قرآناً يتلى إلى يوم الدين "إذا جاءك المنافقون" تصديقا لزيد.

ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول توجه إلى النبي – ﷺ ، وقال له: "يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي، فإن كنت فاعلا فمرني به أنا فأحمل إليك رأسه، لأني أخشى أن تأمر غيري بقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار"، فرد عليه الرسول الرحيم: "بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا".

فكان بعد ذلك أن حدث حدث عاتبه أهله وعنفوه وتوعدوه، فقال الرسول – ﷺ – لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم عن رأيه فيما حدث، ولو أنه قتله يوم أن أشار عليه بذلك؟ فرد عمر: "أمر رسول الله ﷺ أعظم بركه من أمري".

وقد حدث أثناء غزوة بني "المصطلق" أن رجلا من الأنصار من أهل عبادة بن الصامت رمى خطأ رجلاً من المسلمين بسهم فقتله، وهذا القتيل يدعى هشام بن صبابه أخو مقيس بن صبابه الذي توجه إلى الرسول وهو يتظاهر بالإسلام، وأخبره أنه جاء ليطلب دية أخيه، ومكث عند النبي فترة، وتمكن من قتل قاتل أخيه وعاد إلى مكة مرتداً وهو ينشد:

**شفى النفس أن قد بات في القاع مسندا**

**تـــــضرج ثوبيـــــه دمـــــاء الأخـــــادع**

**وكانـــت همـــوم الـــنفس قبـــل قتلـــه**

**تلـــم فتحمينـــي وطـــاء المـــضاجع**

**حلـــف بـــه نـــذري وأدركـــت ثـــؤرتي**

**وكنـــت إلـــى الأصـــنام أول راجـــع**

وهو يريد أن يقول إن نفسه قد شفيت بسبب قتل قاتل أخيه لدرجة حرمت عليه النوم حتى تمكن من الثأر، ثم كان أول العائدين إلى عبادة الأصنام بعد ما تظاهر بالإسلام، وتعلمنا هذه الغزوة كيف نواجه الفتن بالحكمة وحسن معاملة من يسيء إلينا، وترينا حكمة النبي – ﷺ – البالغة في معالجة المواقف الصعبة وحرصه على نزع شيم الجاهلية من النفوس.

# غزوة "وادي القرى"

- تحذير من الاستيلاء على الأموال العمومية
- شائعة بوقوع الرسول في الأسر تصل مكة

**رغم تأكيد أحبار اليهود لأهلهم وعشائرهم أن نبيا سيبعث في أرض العرب وهو صاحب رسالة حق لابد أن يتبعه سائر الناس، إلا أنهم شاركوا أهل الأصنام ومشركي قريش التصدي لهذه الدعوة الوليدة ونسجوا كل أشكال المؤامرات، نقضوا العهود التي أبرموها مع النبي – ﷺ – وقد كانت غزوة "وادي القري" واحدة من هذه الغزوات التي نشبت لهذه الأسباب، إذ إن الكفر ملة واحدة.**

فبعدما انتهي النبي – ﷺ – من غزوة خيبر، سار بجيشه إلى "وادي القرى"، فحاصر أهل الوادي من الكفار عدة ليال حتى تمكن صلى الله عليه وسلم من افتتاح هذا الوادي بالقوة، وحدث خلال هذا الحصار مقتل "مدغم" مولى رسول الله – ﷺ – الذي أهداه له "رفاعة بن زيد الجزامى"، فقال المسلمون.. هنيئا له الجنة: فرد الرسول – ﷺ "كلا" والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن تشتعل عليه ناراً، وكان غلها أخذها ظلما من فيئ المسلمين، أي من غنائمهم يوم خيبر، فسمعه رجل فقال: :يا رسول أصبت شراكين لنعلين لي كنت أخذتهما"، أي أنه استولي عليهما بدون إذن، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم: "يقدم لك مثلهما من النار".

وحدث في هذه الغزوة أن رسول الله - ﷺ - نام عن صلاة الصبح حتى طلعت عليه الشمس، وشهدت العزوة نساء من المسلمين فأعطاهن الرسول من الغنائم أقل من نصيب الرجل بما يرضيهن، وقال الحجاج بن علاط السلمي لرسول الله - ﷺ - أن له مالا متفرقا في تجار مكة، وطلب منه أن يأذن له بالذهاب لإعادته فأذن له رسول الله، وقدم الحجاج مكة فسأله أهلها عن رسول الله - ﷺ - وما صنع بخيبر ولم يكونوا قد علموا بإسلامه فقال لهم: "إن يهوداً هزمته، وقتل أصحابه قتلا ذريعا ووقع محمد في الأسر"، وقال اليهود، لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه، فصاحوا بمكة بذلك.. فقال الحجاج: "أعينوني في جمع المال حتى أذهب إلى خيبر فأصيب من المنهزمين من أصحاب محمد، قبل أن يسبقني التجار"، فأتاه العباس بعد أن جمع ماله وسأله عن الخبر فأخبره أن النبي - ﷺ - فتح خيبر وأخذ "صفية بنت حيي لنفسه، وأنه قدم لجمع ماله وسأله أن يظل يكتم هذا السر لمدة ثلاث ليال بعد مسيرة خوفا أن يلاحقه كفار مكة، فكتم العباس السر ثلاثا كما عاهد الحجاج، ثم لبس حلة (بدلة) له وتخلق أي لبس ملابس جميلة وأخذ عصاه فطاف بالكعبة فلما رأته قريش قالوا: يا "أبا الفضل" هذا والله التجلد لحر المصيبة"، فأجابهم "كلا، والله لقد افتتح محمد خيبر وأخذ ابنه ملكهم وأموالهم وأخبرهم بخبر الحجاج"، فقالوا: "لو علمنا لكان له ولنا شأن".

وترك الرسول - ﷺ - النخل والأرض في يد أهل وادي القرى، كما عامل أهل وادي القرى مثلما عامل أهل خيبر، وبقوا كذلك في عهد الصديق أبي بكر حتى ولى الفاروق عمر بن الخطاب الخلافة فأجلاهم وقيل إنه لم يجلهم عن هذه الأرض لأنها خارجة عن نطاق الحجاز، ونتعلم من هذه الغزوة دروساً هامة منها أن الإنسان لا يقدم على الإستيلاء على أموال ليست له، لأن الله سيعاقب عليه يوم القيامة، ونتعلم أيضاً أن نحافظ على المال العام ولا نستولي عليه لأنفسنا.

# غزوة ذات السلاسل

- الدبلوماسيون يلعبون دوراً في نشر الإسلام
- والمصلحة العامة تتقدم القيادة والإمارة

**لعبت البعوثون الدبلوماسيون دوراً هاماً في نشر الدعوة الإسلامية في عهد الرسول – ﷺ – وكان النبي يختار هؤلاء الدبلوماسيين الإسلاميين بعناية شديدة، فهو يدرك إمكانيات أصحابه في الإقناع وطرح الحجة، كما كان يرسل مبعوثه إلى الجهة التي يضمن أنه سيحقق فيه نجاحاً، وقد كان عمرو بن العاص هو أحد هؤلاء الدبلوماسيين الذين أثبتت الأحداث التي رواها التاريخ قدرته الفائقة على ممارسة الدهاء السياسي، وكانت غزوة ذات السلاسل شاهدا على ذلك.**

تدور أحداث هذه الغزوة بأرض شبه الجزيرة العربية ولم يحدث فيها قتال بالسيف، وكان المصطفى – ﷺ – قد أرسل عمرو بن العاص إلى أرض "بلى" و"عزره" يدعو الناس للإسلام، لأن أم ابن العاص كانت من "بلى"، فأحب رسول الله – ﷺ – إرساله إليهم، وسار بن العاص حتى وصل إلى موضع ماء بأرض "جُذام" يطلق عليه "السلاسل"، ولذلك سميت هذه الغزوة بذات السلاسل نسبة إليه، فلما وصل عمرو بن العاص إليه خاف أن يهاجمه الناس فأرسل بذلك إلى النبي – ﷺ – يطلب منه المدد، فبعث النبي – ﷺ – قوة من جيش المسلمين يقودهم أبو عبيدة بن الجراح، والمقاتلين من المهاجرين الأوائل وفيهم سيدنا أبو بكر والفاروق عمر بن الخطاب.

ولأن المصطفى – ﷺ – يدرك ما يمكن أن يدور في النفس البشرية ويخشى أن يدب خلافاً بين المسلمين يشتت قوتهم فيجعلهم صيداً سهلاً في يد العدو، لذلك حرص الرسول – ﷺ – أن يوصي أبا عبيدة قبل معادرته للمدينة وقال له قبل أن ينصرف "لا تختلفا" ويقصد ألا يختلف مع عمرو بن العاص.

وسار مدد رسول الله إلى ابن العاص حتى وصل إليه ومجرد أن استقبلهم عمرو بن العاص قدم إلى ابي عبيده وقال له "إنما مدد إلى "فرد عليه أبو عبيدة بن الجراح" يا عمرو: "إن رسول الله – ﷺ – قال لي قبل أن أتحرك من المدينة، لا تختلفا فإن عصيتني أطعتك"، "فقال عمرو بن العاص": "أنا أمير عليك"، فما كان من أبي عبيده إلا أن قال "فدونك" أي نحن سنطيعك ونكون خلفك، وصل عمرو بن العاص بالمسلمين.

وكان الرسول – ﷺ – قد أرسل عمرو بن العاص إلى كل من جيفر وعباد ابني "الجلخندى" بعمان فلم يترددا في دخول الإسلام والإيمان بالله، وأخذ ابن العاص الجزيه من المجوس وسلمها لبيت مال المسلمين.

وفي هذه الغزومة نرى أهمية دور الدبلوماسية في حل القضايا والإقناع، والتخلي عن المصالح الشخصية من أجل المصلحة العامة وأهداف الدين والوطن، بالإضافة إلى تنفيذ أوامر القائد.

# غزوة الخبط

## - طاعة أمر القائد وحسن التصرف من أسباب النصر
## - العدالة في توزيع الغنائم بين الجنود

**يتحمل القائد كل المسؤوليات عن الجيش الذي يتولى أمره، وكان النبي – ﷺ – يحسن اختيار قاده الجيوش في المعارك والمهام التي يوكل بها جيش المسلمين، ولم يكن المسلمون يبادأون أحداً بالعداواة أو القتال، لكن فقط هم دائماً على استطاعه للرد بمنتهى القوة على المغيرين عليهم، وكانت غزوة "الخبط" دليلاً على ذلك، فقد تولى أو عبيدة بن الجراح أمر جيش المسلمين الذي خرج لمواجهة قوات العدو التي استعدت لغزو المسلمين.**

وكان النبي – ﷺ – قد أوكل إلى أبي عبيدة بن الجراح إمارة جيش المسلمين الذي بلغ قوامه ثلاثمائه من المهاجرين والأنصار، وكانت هذه الغزوة المعروفة بغزوة الخبط في شهر رجب، وسميت هذه الغزوة بغزوة "الخبط" نسبة لهذا النوع من النبات الذي يوجد في بعض الصحاري، فكان النبي – ﷺ– قد زود جيش المسلمين بجراب من تمر، فكان أو عبيدة يقبض لهم قبضة ثم تمرة فيلوكها المقاتل ويشرب عليها الماء، فنفد التمر فأكل المقاتلون الخبط، وجاعوا جوعاً شديداً فنحر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزر فأكلوها، فنهاه أبو عبيدة عن ذلك فانتهى، وألقى لهم البحر حوتاً ميتاً فأكلوا منه حتى شبعوا، ونصب أبو عبيدة ضلعاً من أضلاع هذا الحوت في موضع مرتفع لدرجة أن الراكب يمر من تحته، فلما عادوا إلى المدينة ذكروا ذلك للنبي – ﷺ فقال: "كلوا رزقاً أخرجه الله لكم"، وأكل منه

رسول الله – ﷺ – وحين ذكروا له ما صنعه قيس بن سعد قال – صلى الله عليه وسلم: "إن الجود من شيمة أهل هذا البيت".

وفي هذه الغزوة وجه النبي – ﷺ سرية – في شعبان أمر عليها أبو قتادة، ومعه عبد الله بن أبي حدر والأسلمي، وكان سبب توجيه هذه السرية أن رفاعه بن قيس أو قيس بن رفاعه الذي ينتمي إلى عائلة كبيرة من قبيلة جشم نزل يجمع الناس لحرب النبي – ﷺ – فبعث النبي أبا قتادة ومن معه ليستطلعوا أخباره، فوصلوا إلى منطقة قريبة منه قبل غروب الشمس، ومكن كل واحد في ناحية وكانوا ثلاثة وقيل ستة عشر رجلاً، وقال عبد الله بن أبي حدرد أن قوم رفاعة كان لهم راع تأخر عليهم فخرج رفاعة بن قيس يبحث عنه ومعه سلاحه، فرمى عبد الله رفاعه بسهم فأصابه في قلبه فسقط قتيلاً ولم ينطق بكلمة واحدة، فأخذ رأسه، وأسرع إلى ناحية العسكر وكبر وكبر أصحابه، أضاف بن حدرد أنهم فروا هاربين وأخذوا نساءهم وأولادهم وما خف عليهم فاستاق المقاتلون الإبل الكثيرة والغنم إلى رسول الله – ﷺ – وأخذ بن حدرد رأس قيس بن رفاعه فأعطاه النبي ثلاثة عشر بعيراً، وكان بن حدرد قد تزوج فأخذ أهل بيته واستبدل الإبل بعشر من العنم مقابل البعير الواحد.

وفي نفس الغزوة وجه النبي – ﷺ – أبا قتادة إلى "إضم" وكان معه محلم بن جثامة الليثي قبل فتح مكة، فقابلهم عامر بن الأضبط الأشجعي على بعير له ومعه متاعه فسلم عليهم بتحية الإسلام، فلم يقاتلوه، لكن محلماً بن جثامة هجم عليه وقتله واستولى على بعيره لشيء كان بينهما، فلما عاد المسلمون إلى المدينة بلغ الخبر رسول الله – ﷺ– فنزل قول الله تعالى: "يا آيها الذين آمنوا إذا ضربتهم في سبيل الله فتبينوا" صدق الله العظيم.

وفي هذه الغزوة نتعلم أن الإسلام أمر بعدم البدء في القتال وعدم الاعتداء، كما أمر أيضاً بالدفاع عن حقوق المسلمين، بالإضافة إلى طاعة أمر القائد وحسن التصرف.

# غزوة مؤتة

- ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين يواجهون مائتي ألف كافر
- الشورى والحكمة في القيادة حافظت على جيش المسلمين

**شهدت غزوة مؤتة من البطولات والاندفاع نحو القتال في سبيل الله طلبا لإحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة مالم تسمع به في تاريخ أمه من الأمم، هذه الغزوة التي كانت في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة، وتولى فيها خالد بن الوليد قيادة جيش المسلمين لأول مرة، وأطلق عليه الرسول – ﷺ لقب "سيف الله المسلول".**

وكانت هذه الغزوة ضد الروم بقيادة هرقل، وتجهز المسلمون وولى الرسول قيادتهم زيد بن حارثة، وقال ﷺ : "إن أصيب زيد فيتولى بعده جعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة"، فقال جعفر للنبي: "ما كنت أتوقع أن تولي قيادتي لزيد"؟ فرد عليه الرسول: "اذهب فإنك لا تدري أين الخير؟!"، وبكى الناس لأنهم كانوا يعلمون أن الرسول إذا قال "فإن أصيب فلان فالأمير فلان"، أصيب كل من ذكره، فلما ودعهم المسلمون بكى عبد الله بن رواحة فسألوه عما يبكيه، فقال: "ما بي حب الدنيا ولا صبابه بكم، لكن سمعت رسول الله – ﷺ– وهو يقرأ الآية: "وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً"، فلا أدري كيف أن أخرج من النار بعد الورود إليها.

سار جيش المسلمين وعددهم ثلاثة آلاف مقاتل ونزلوا إلى منطقة تسمى "معان"، فبلغهم أن هرقل سار إليهم في مائة ألف من الروم ومائة ألف من الأعراب عليهم رجل من "بلى" يدعى "مالك بن رافلة"، ونزلوا معان من أرض البلقاء، فأقام المسلمون بأرض معان

ليلتين ينظرون أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله – ﷺ – ونخبره بالخبر وننتظر رده علينا"، وشجعهم عبد الله بن رواحة، وقال لهم: :إننا نقاتل ولنا إحدى الحسنيين"، وساروا وسمعه زيد بن أرقم وهو ينشد مخاطباً نفسه، وهو يعنيها بالشهادة في سبيل الله غير مبال بأهل أو املاك يتركها من بعده، فلما سمعه زيد يبكي، فضربه برفق بالدرة، وقال له: "ما عليك يالكع! يرزقني الله الشهادة، وترجع أنت بين شعبتي الرجل، وساروا فقابلوا جموع الروم والعرب في الصحراء بقرية يقال لها "مشارف"، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها "مؤتة"، وكان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة الغدري، وعلى ميسرتهم عباية بن مالك الأنصاري، فاقتتلوا قتالاً شديداً فقاتل زيد بن حارثة براية الرسول – ﷺ– حتى قتل فأخذ جعفر الراية، وهو ينشد متمنياً الشهادة والجنة، فلما اشتد القتال عقر فرس له شقراء، وتبين إصابتها بأكثر ما يزيد من ثمانين طعنة ورمية رمح، وكانت أول فرس تعقر في الإسلام، فلما استشهد جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة، فتردد بعض الشيء، فعاتب نفسه بأبيات شعر يقسم عليها أن تقدم إلى القتال لأنها ستموت إن كان ذلك في الحرب أو في غيره، ثم نزل عن فرسه بعد قتال فأعطاه ابن عم له قطعة لحم ليشد بها صلبه فأخذ منها قطعة وسمع الحرب تدور فتقدم للقتال حتى نال الشهادة.

اشتد الأمر على المسلمين وتكالب الأعداء عليهم، وكان قطبة بن قتادة قد قتل مالك بن رافلة، قائد الأعراب، ووصل الخبر إلى النبي من السماء فصعد المنبر، وأمر بالنداء للصلاة واجتمع الناس فقال لهم رسول الله – ﷺ : "باب خير ثلاثاً"، أخبركم عن جيشكم هذا الغازي أنهم لقوا العدو فاستشهد زيد واستغفر له، وأخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى نال الشهادة، وأستغفر له، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وصمت النبي حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان من عبد الله ما يكرهون، فقال الرسول – ﷺ ، فقاتل

حتى نال الشهادة واستغفر له، لقد رفعوا إلى الجنة على سرر من ذهب فرأيت في سرير بن رواحة أزوراراً عن سريري صاحبيه، فقلت عم هذا؟ فقيل مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى، ولما قتل ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاري، وطالب الناس بأن يختاروا قائداً لهم فأخبروه أنهم رضوا به قائداً لهم، لكنه رفض، فأخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ومن هنا أطلق على خالد بن الوليد "سيف الله" وقال رسول الله – ﷺ – مربي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مختضب القوادم بالدم.

وقالت أسماء إن النبي – ﷺ – أتاها وكانت قد فرغت من اشتغالها وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم بالطيب فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه فقالت: "يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء"؟! فقال: "نعم.. لقد أصيب اليوم"، ثم عاد لأهله وأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فلما رجع الجيش قابلهم الرسول – ﷺ – والمسلمون بالقرب من المدينة فأخذ عبد الله بن جعفر بين يديه وحمله فأخذ الناس يهيلون التراب في وجه الجيش وهو يرددون "يا فرار يا فرار"، ورسول الله – ﷺ – يقول: "ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله".

ومن هذه الموقعة الشديدة نصل لضرورة التشاور في أمور المسلمين وفيما يحيط بهم اشتدت الشدائد، وأن الشهادة في سبيل الله والحق هي غاية المقاتلين المسلمين، وحسن تصرف خالد بن الوليد الذي انسحب من المعركة حتى لا يفني ما بقي من الجيش في معركة غير متكافئة الكفتين.

# فتح مكة أو غزوة الفتح

## - كيف خطط المسلمون لدخول مكة دون قتال؟
## - العفو عند المقدرة.. شعار طبقة الرسول مع أهل مكة

**"فتح مكة" أو فتح الفتوح كما يستحق أن نطلق عليه، فقد كان لمكة مكانة عظيمة لدى العرب والمسلمين ولدى رسول الله – ﷺ – ذاته، حيث ذكر عن النبي عند خروجه من مكة أنه قال: "والله إنك لأحب أرض الله إلى قلبي، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت"، وتعد مكة هي قبلة العرب قبل وبعد الإسلام، فقد كانت للعرب قديماً طريقاً الرحلاتهم التجارية إلى الشام واليمن، كما كانت مفتاح الجزيرة العربية لنشر الإسلام، فضلاً عن أنها مقصد الحجاج المسلمين من كل بقاع الأرض حتى الآن.**

وقد خرج الرسول – ﷺ– في الثلث الثاني من شهر رمضان قاصداً فتح مكة بعد أن قضى جمادى الآخرة، ورجب وشعبان في المدينة بعد مجيئه من غزوة مؤتة، وصل رسول الله – ﷺ – مكة في عشرة آلاف فارس كان أغلبهم من المهاجرين والأنصار وحلفائهم ومن قبيلة مزينة ألف وثلاثة فارس ومن جهينة ألف وأربعمائة ومن بني سليم سبعمائة، ومن غفار أربعمائة فارس وغيرهم من فرسان تميم وأسد وميس.

ومازال رسول الله – ﷺ – على عهده مع قريش وحلفائها من قبيلة بكر في صلح الحديبية إلى أن انتهزت قبيلة بكر الهندنة، وأرادوا أن يصيبوا ثأراً قديماً من خزاعة، حلفاء الرسول – ﷺ– فخرج نوفل بن معاوية الدئلي ومن تبعه من قبيلة بكر قاصدين ثأرهم من

خزاعة وأعانتهم قريش على خزاعة بالسلاح والدواب والمقاتلين وأوعقوا بخزاعة قتلى كثيرين، ولما أدركت خزاعة الهزيمة دخلوا المسجد الحرم فقالت بكر لنوفل: "يا نوفل أنا قد دخلنا الحرم.. إلهك" فقال نوفل: "لا إله له اليوم"، وعمل نفر من بكر القتل بخزاعة داخل الحرم، فكان هذا السبب وراء إقدام الرسول – ﷺ– على فتح مكة بعدما نقضت قريش صلحها مع رسول الله ﷺ.

أدركت قريش عندئذ فداحة الذنب والخطر الذي وقعوا فيه خاصة بعد علمهم أن نفراً من خزاعة ذهب لرسول الله واستجاروا به وأجارهم فبعثوا أبا سفيان في جمع من قريش قاصداً الرسول ليجدوا العهد ويزيدوا في مدة الصلح خوفاً من المسلمين.

نزل أبو سفيان على ابنته أم حبيبة زوج النبي – ﷺ – فلما رأته يجلس على فراش رسول الله طوته – أم حبيبة – عند فقال وهو مشرك: "أرغبت به عني أم رغبت بي عنه؟! فقالت زوج النبي: "هو فراش رسول الله وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس عليه"، وهذا يظهر مدى عزة وكرامة رسول الله لدى المسلمين وأمهات المؤمنين حتى لو كان ذلك على آبائهم وعامة ذوي أرحامهم.

خرج أبو سفيان من عند ابنته غاضباً حتى أتى النبي – ﷺ– فكلمه، ولكن الرسول لم يرد عليه خشية أن يجيبه بالموافقة على طلبة، ويكون حينئذ قد تخلى عن أنصاره وحلفائه وهذا ليس من أخلاق الرسول أو شيم الإسلام، وفي الوقت نفسه يعلم الرسول أنه لو رفض طلبه صراحة لحمل الخبر إلى قومه، واستعدت قريش للحرب مبكراً قبل قدون المسلمين، وذهب أبو سفيان إلى أبي بكر فكلمه ليكلم رسول الله – ﷺ ، فقال: "ما أنا بفاعل"، ثم أتى عمر بن الخطاب، فقال له: "أنا أشفع لكم عند رسول الله، والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، وهكذا حتى أتى عليا وعنده فاطمة والحسن وهو غلام، فقال لعلى: والله

لقد عزم رسول الله على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه، فقل أبو سفيان لفاطمة: يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا أن يخير على رسول الله أحد، فالتفت أبو سفيان إلى علي وهو ذليل خائف قائلا له: "أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني"، فقال له: "أنت سيد كنانة فقم فأجر بين الناس والتحق بأرضك".

والواضح أن هذا الموقف من النبي - ﷺ وأصحابه لم يكن ينم سوى عن قوة وبأس شديدين، ولعلمهم أن قريشاً وحلفاءها لن تستطيع رد المسلمين ماداموا أعدوا لهم ما استطاعوا من قوة وأن الله سوف ينصرهم ويفتح عليهم أم القرى، مصداقاً لقوله تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً".

تجهز جيش المسلمين، واكتملت صفوفه حتى بلغت عشرة الآف فارس ومقاتل واستعدوا للخروج للتفح الأعظم فإذا بالنبي - ﷺ ، يدعوا ويقول: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبعتها في بلادها"، واستجاب الله عز وجل لحبيبه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وفشلت محاولات بعض المنافقين لتسريب خبر الغزو إلى قريش، وبالفعل فوجئ المشركون في مكة بنيران عظيمة تحيط بجبال مكة من جميع الجوانب، فذهل الكفار وسار فيهم لجج كثير حتى قال العباس بن عبد المطلب: "يا هلاك قريش والله لئن بغتها رسول الله - ﷺ - في بلادها فدخل عنوة إنه لهلاك لقريش إلى آخر الدهر".

وظنت قريش في أول الأمر أن هذه النار نار خزاعة، ولكنها أيقنت أنه جيش محمد ولا قبل لخزاعة ولا للعرب بتجهيز مثل هذا الجيش، وتأكدهم الأمر حينما صرخ فيهم أبو سفيان "عم الرسول" قائلاً: "يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فأسلموا تسلموا".

ورغم علم الكفار وتأكدهم من عدم مقدرتهم على صد الرسول - ﷺ - عن مكة إلا أن مجموعة من جحافل الكفر على رأسهم عكرمة ابن أبي جهل رأوا أن يهاجموا المسلمين، وكان نبي الرحمة قد أمر المسلمين ألا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم، وقاتلهم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد وانتصروا عليهم وفروا هاربين أمام جنود الحق.

ودخل النبي - ﷺ - وأصحابه مكة، وهو مظفر بالنصر وكانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة، وقال: "لا إله إلا الله وحده صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل دم أو مأثره أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحج"، ثم قال: "يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم"؟ قالوا: "خيراً.. أخ كريم وابن اخ كريم"، قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء، فعفا عنهم بعدما أمكنه الله منهم وسمى أهل مكة الطلقاء"، وطاف النبي بالكعبة سبعاً وصلى فيها وأزال صور الأنبياء وأشار بتحطيم الآلهة وهو يردد قوله تعالى: "وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً".

ومن المآثر الكبيره التي أثرت عن نبي الرحمة - ﷺ- في فتح مكة أنه سمع سعد بن عبادة يقول: "اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة"، وكان قد سبق وأمره الرسول الكريم بأن يدخل مكة من كداء، فقال ﷺ لعله بن أبي طالب: "أدركه فخذ الراية منه، وكن أنت الذي تدخل بها"، فضلاً عن وصايا الرسول في ﷺ للمسلمين بدخول مكة بدون قتال أو حرب واستأمن أبو سفيان وكل من يدخل بيته أو المسجد أو يغلق عليه بابه.

ومن المآثر التي يذكرها التاريخ للنبي الكريم عفوه عن عكرمة بن أبي جهل رغم ما لاقاه منه من إيذاء وكره له وللمسلمين، وهند بنت عتبة ووحشي قاتل عمه حمزة، وصفوان بن أمية بن خلف الذي آذى الرسول والمؤمنين، وكذلك صفح ﷺ عن عبد الله بن الزبعري

السهمي الذي كان يهجو الرسول، وغيرها من صناويد الكفر الذين آمنهم الرسول – ﷺ– في موقف يؤكد سماحة الإسلام والمسلمين مع أعدائهم.

ومن أهم الدروس المستفادة من فتح مكة أو فتح الفتوح هي عدم الاغترار بالقوة فرغم كل ما لاقاه الرسول من الكفار من أعمال بطش وإرهاب له ومن تبعه من المسلمين لصرفهم عن دينهم قبل الهجرة وبعدها، إلا أن الرسول تناسى كل ذلك، وتذكر شيئاً واحداً هو الرحمة العفو ما دام الله قد أمكنه منهم، فتسامى الرسول الكريم عن مقابلة العنف والانتقام ممن سبق آذوه كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله.

# غزوة هوازن بحنين أو "غزوة حنين"

## - الاغترار بالقوة كاد ينزل الهزيمة بالمسلمين

## - مواقف بطولية رائعة لصحابة الرسول ضد المشركين

**أثار قيام رسول الله – ﷺ – والمسلمين بفتح مكة الذعر في قلوب الكفار، فقد اشتعلت قلوب المشركين حقداً على الإسلام بعدما أصبح لأتباعه سلطة وقوة على أكثر أحياء العرب، وخشي زعماء القبائل على سلطانهم ومكانتهم من المد الإسلامي، فجمع "مالك بن عوف النصري" زعيم قبيلة "هوازن" القبائل والعشائر وأجمعوا على قتال محمد – ﷺ – والمسلمين في مكة، واستعان "مالك بن عوف"، بدريد بن الصمة شيخ بني جشم "وأعلم العرب بفنون القتال والكر والفر، وأتم المشركون استعدادهم وخرجوا لقتال رسول الله ووقف الزحف الإسلامي الذي كانوا يخشونه على سلطانهم.**

ونزل الجمع بمنطقة اختارها "دريد بن الصمة تسمى "أوطاس" كأفضل مكان لقتال المسلمين كما ساق "مالك بن عوف" مع الجيش الأموال والنساء والأبناء، ولما سأله "دريد بن الصمة" عن سبب ذلك قال: "أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وما له ليقاتل عنهم"، فاعترض "بن الصمة" قائلا: "إنها، أي المعركة، إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك"، فرد عليه "مالك": "والله لا أفعل أنك قد كبرت وكبر عقلك".. فرد "بن الصمة": "هذا يوم لم أشهده ولم يفتني..

وفرق الله جمع المشركيم قبل لقاء المسلمين، وهذا من رحمة المولى عز وجل بعباده المؤمنين في مكة والمدينة.

ووصل خبر اجتماع المشركين على قتال المسلمين إلى رسول الله – ﷺ – فظهرت عليه علامات القائد المحنك القدير على إدارة المعركة في أحلك الظروف، فبعث إليهم بعيون ترصدهم وترصد تحركاتهم وتنقل للرسول أخبارهم ومواقع تعسكرهم، وأدرك رسول الله – ﷺ – حجم المسؤولية فتلك القبائل تجمع أمرها وتعد عدتها لقتال المسلمين مثلما حدث غزوة الأحزاب ولكن المسلمين أصبحوا أكبر قوة وأعز نصرا، فخرج الرسول – ﷺ – ومعه آلفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحاب الذين فتح الله بهم مكة، ولم يتوان الرسول – ﷺ – في الإعداد للمعركة أو الاعتقاد بأنهم أكثر نفراً، لذا بعث إلى "صفوان بن أمية" وهو مازال مشتركاً — طالباً منه سلاحاً ودروعاً فأعطاه "صفوان" ما أراد، وبذلك اكتمل جيش المسلمين عتاداً وعدة على أكمل وجه.

وخرج المسلمون مع رسول الله – ﷺ – إلى حنين وفي الطريق قال المسلمون للرسول: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط وكان لكفار قريش شجرة تسمى أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسحلتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً فرد رسول الله – ﷺ : "الله أكبر والذي نفس محمد بيده قلتم كما قال قوم موسى لموسى "اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجلهون"، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم.. فرجع المسلمون إلى رشدهم وإيمانهم بالله".

ورغم إيمان المسلمين في نصر الله لهم وتأييده لرسوله إلا أن البعض أخذه الغرور وأعجبتهم كثرتهم حتى قال رجل من بني بكر، كما روى ابن إسحاق: "لن نغلب اليوم من قلة".

وأثناء مسير المسلمين في بطن من بطون وادي حنين انقض عليهم المشركون وشدوا عليهم شدة رجل واحد حتى كاد أن يلحق بالمسلمين هزيمة نكراء، إلا أن رسول الله – ﷺ – بحنكة القائد وبصيرة الأنبياء انحاز ذات اليمين من المعركة ونادى: "أيها الناس.. هلموا إليّ، أنا رسول الله، أنا "محمد بن عبد الله"، فاجتمع نفر غير قليل من الصحابة وأهل بيته فاقتتلوا حتى قتل "دريد بن الصمة" ونصرهم الله بفضله على أعدائه المشركين، وأنزل الله عز وجل في يوم حنين: "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم".

وثمة دروس وعبر مستفادة من غزوة حنين وهي عدم الاعتقاد في قوة العدة أو العتاد، ولكن يجب التيقن تماماً أن النصر من عند الله كلما صلحت النوايا وخلصت الذمم لوجه الله، وهذا لا يعني عدم التجهيز للمعركة أو الإعداد لها.

وثاني هذه الأمور هو العفو عند المقدرة فقد كان رسول الله – ﷺ– طالما يعلم الناس الرحمة والتراحم حتى مع الأعداء، فقد روى أن الرسول ﷺ قال: "إن قدرتم على بجاد بن بني سعد فلا يفلتنك"، فلما ظفر به المسلمون ساقوه إليه ﷺ، وأهله الشيماء أخت رسول الله ﷺ في الرضاعة، فلما دخلت عليه الشيماء وتبين أنها أخته خيرها بين البقاء معه معززة مكرمة أو العودة وأهلها سالمين مكرمين فاختارت الثانية، فعفى عنهم رسول الله – ﷺ – وأهداها غلاما يقال له مكحول وأعطى لها جارية.

وقد شهدت غزوة حنين مواقف بطولية رائعة، ولعل ما جسده الصحابي الزبير بن العوام من بطولة وشجاعة أكبر دليل على ذلك، حيث يروى عن ابن هشام أن خيلا طلعت ومالك النصري وأصحابه على الثنية فرأى قوماً فقال لأصحابه: "ماذا ترون؟ قالوا: "نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان خيلهم، طويلة بوادهم، فقال هؤلاء بني سليم، ولا بأس عليكم منهم، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها، فقال

لأصحابه ماذا ترون؟ قالوا نرى قوما عارضي رماحهم، أغفالا على خيلهم، فقال: هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم، فلما انتهوا إليهم سلكوا طريق بني سليم طلع فارس فقال لأصحابه ماذا ترون؟! قالوا: نرى فارساً طويل الباد، واضعاً رمحه على عاتقه عاصبا رأسه بملاءة حمراء فقال: "هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم، أي ليحاربكم، فاثبتوا له، فلما انتهى الزبير إلى أصلى الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها.

# غزوة تبوك

## - لماذا خرج الرسول لقتال الروم واستخلف علي بن أبي طالب على أهله؟

## - سماحة الإسلام تتجلى في معاملة النبي مع أعدائه

**تعتبر غزوة تبوك إحدى الغزوات الهامة في التاريخ الإسلامي، ولعل أهمية تلك الغزوة تأتي من المكاسب التي حققها المسلمون، والتي تمثلت في القضاء على تهديد الروم واستسلام العديد من القبائل وقبولها لها دفع الجزية.**

وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله – ﷺ – عندما أقام بالمدينة بعد عودته من الطائف ما بين ذي الحجة إلى رجب، قد بلغه أن هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب، قد عزموا العقد على قصد المسلمين ومحاربتهم، ونظراً لما عرف عن هرقل بين القبائل العربية من قوة بطشه وجبروته، فضلاً عن امتلاكه لجيش قوي على دراية تامة بفنون القتال، فقد أحدث خبر إقدام هرقل لمحاربة الرسول، بلبلة بين صفوف المسلمين، خاصة وأن كثيرين منهم قد دخلوا الإسلام حديثاً ولم يكتمل إيمانهم بعد.

لكن الرسول – ﷺ – فور علمه بنبأ إقدام هرقل وجيوشه، أمر المسلمين بالتجهز لغزو الروم وكسر شوكتهم التي تهدد الإسلام وأتباعه في كل مكان، وأمر صلى الله عليه وسلم بالنفقة في سبيل الله، وأنفق أهل الغنى من المسلمين، وأنفق أبو بكر جميع ما بقي عنده من مال، وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها، وقيل إنها كانت ثلاثمائة بعير وألف دينار.

واستعد المسلمون للمعركة الحاسمة مع عدوهم اللدود، ولكن كان الحر شديداً، والبلاد مجدبة، والناس في عسرة، وكانت الثمار قد طابت فأحب بعض الناس المقام في ثمارهم فتجهزوا على كرة، فسمي ذلك الجيش بجيش "العسرة"، كما استغل بعض المنافقين هذه الأحداث، وأرادوا إثارة الفتنة بين صفوف المسلمين، وحثهم على عدم القتال في ظل عدو قوي وظروف صعبة للقتال، وقال قائل من المنافقين: " لا تنفروا في الحر، فنزل قوله تعالى: "وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً".

وأتى رجال من المسلمين إلى النبي – ﷺ – وهم البكاؤون، وكانوا: "أهل حاجة فاستحملوه"، فقال: "لا أجد ما أحملكم عليه، فظلوا يبكون حتى لقيهم يا مين بن عمير بن كعب النضري، وأعطى اثنين منهم بعيراً، فكانا يتعقبانه مع رسول الله – ﷺ – ثم جاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إلى رسول الله – ﷺ– عن القتال فلم يعذرهم، وكذلك تخلف رجال من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية وأبو خيثمة ومرارة بن الربيع، كما تخلف عنه عبد الله بن أبي المنافق فيمن تبعه من أهل النفاق.

وسار النبي ﷺعلى رأس جيشه، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وعلى أهله على بن أبي طالب، فما كان من المنافقين إلا أن قالوا ما خلفه إلا استثقالاً له، وعندما سمع على بن أبي طالب ذلك لحق برسول الله للقتال معه، ولكن الرسول أرجعه وقال له: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي".

وكان أبو خيشمة أحد الذين تخلفوا عن القتال مع رسول الله، ولكن بعد أن أقام أياما بالمدينة وسط أهله استثقل على نفسه أن يشرب من الماء البارد ويقيم في الظل البارد، بينما رسول الله خاتم الرسل في الحر والريح فقام فلحق بجيش المسلمين وأدركه بتبوك.

وأثناء سير جيش المسلمين في "الصحراء في طريقة لمحاربة الروم، مر بالحجر وهو منزل ثمود فنهى الرسول عن الشرب من هذا الماء أو التوضوء منه، وقال لهم: "ما كان من عجين فألقوه، وأعلفوا الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرج الليلة أحد إلا مع صاحب له"، ففعلوا وأصبح الناس بالحجر ولا عاء معهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله الذي دعا الله فأرسل سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس.

أما أباذر الصحابي الجليل، فقد وقف فجأة أثناء سير رسول الله وتخلف عليه، فقال رسول الله لأصحابه: "ذروه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم"، فوقف أبو ذر على جمله، فلما أبطأ عليه أخذ رحله عنه وحمله على ظهره وتبع النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا.

ومكث جيش رسول الله – ﷺ – في الصحراء عدة ايام، حتى انتهى إلى تبوك وكعادة المسلمين عند القتال فإنهم يبدأون أولا بدعوة عدوهم إلى الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو القتال الذي فرضه الله عليهم، وأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوحنا بن رؤبة صاحب "أيله" فدعاه إلى الدخول في الإسلام فرفض بن رؤبة، فما كان منه إلا أن صالحة على الجزية وكتب له كتابا، فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار كما صالح رسول الله أهل أذرح على مائة دينار، في كل رجب وصالح أهل جرباء على الجزية، وكذلك صالح أهل مقنا على ربع ثمارهم، حيث كان اعتمادهم الأساسي على الرزع.

وكذلك بعث النبي خالد بن الوليد القائد الملقب بـ"سيف الله المسلول" إلى أكيدر بن عبد الملك، صاحة دومة الجندل وكان نصرانياً، وقال رسول الله لخالد: "إنك تجده يصيد البقر"، فخرج إليه خالد فإذا هو على مقربة منه وجده فوق سطح داره هو وامرأته، بينما بقرة تحك بقرنها باب حصن أكيدر الذي نزل من على سطح داره، وخرج يطاردها فما

كان من خالد بن الوليد إلا أن أسره، وقدم به إلى رسول الله، فحقن دمه وصالحه على الجزيه وخلي سبيله.

وظل جيش المسلمين وعلى رأسه رسول الله – ﷺ : "بتبوك بضع عشرة ليلة"، ولكن لم يخرج إليه الروم والعرب المتنصرة لقتاله، فعاد رسول الله – ﷺ – إلى المدينة وأثناء سيره إليها أتاه خبر مسجد الضرار، فأرسل مالك بن الدخشم فحرقة وهدمه.

وبعد عودة رسول الله إلى المدينة والتي كان قدومه إليها في رمضان أتى الذين تخلفوا عن الغزوة يطلبون الصفح، فصفح الرسول عن بعضهم ولم يعذرهم الله ورسوله، أما الثلاثة الآخرون الذين تخلفوا عن تبوك وهو كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع فقد نهى الرسول عن كلامهم، واعتزلهم أهل المدينة خمسين ليلة، حتى أنزل الله فيهم قرآنا وقبل توبتهم.

# حصار الطائف أو غزوة الطائف

## -لماذا قسم الرسول الغنائم على قبائل العرب ولم يعط الأنصار

**كانت غزوة "الطائف" أو "حصارة" إحدى غزوات الرسول الكريم، حيث سار إليهم النبي – ﷺ – بعد أن قدم المهزومون من ثقيف ومن انضم إليهم من غيرهم إلى الطائف وأغلقوا عليهم مدينتهم وجمعوا كل ما يحتاجون إليه، وقبل وصول الرسول – ﷺ – وعند بحرة الرغاء قتل بها رجلا من بني ليث قصاصا كان قد قتل رجلا من هزيل فأمر – ﷺ بقتله، وهو أول دم أقيد به في الإسلام.**

سار النبي إلى ثقيف فحاصرهم بالطائف أكثر من عشرين يوما ونصب عليهم منجنيقاً أشار به "سلمان الفارسى" وقاتلهم قتالا شديداً، ودخل نفر من المسلمين إلى جدار الطائف فأرسلت عليهم ثقيف سلك الحديد المحماة فخرجوا من تحتها، فرماهم أهل الطائف بالنبل فقتلوا رجالا، فأمر رسول الله – ﷺ – بقطع أعناب ثقيف فقطعت ونزل إلى رسول الله – ﷺ– عدد من رقيق أهل الطائف فأعتقهم وكان من بينهم أبو بكرة بقيع بن الحارث بن كلده فلما تحقق النصر للمسلمين ودخل أهل الطائف في الإسلام تكلمت سادات أولئك العبيد في أن يردهم رسول الله – ﷺ– إلى الرق فقال: "لا أفعل ذلك فأولئك هم عتقاء الله".

وكان قد استشهد بالطائف اثنا عشر رجلا، منهم "عبد الله بن أبي أمية المخزومي"، وأمه "عاتكة بنت عبد المطلب"، وعبد الله بن أبي بكر الصديق، فقد رموه بسهم مات منه في المدينة بعد وفاة رسول الله – ﷺ – والسائب بن الحارث بن عدي وغيرهم.

وقيل إن رسول الله – ﷺ- استشار "نوفل بن معاوية الدئلي" في المقام على "ثقيف" فقال: "يا رسول الله كأنهم ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لن يضرك".. فأذن بالرحيل، فلما رجع الناس قال رجل: "يا رسول الله ادع على ثقيف"، فقال صلى الله عليه وسلم: "اللهم اهد ثقيفا وأت بهم"، فلما رأت ثقيف الناس قد رحلوا عنهم نادى "سعيد بن عبيد الثقفي"، ألا إن الحي مقيم فقال، عيينة بن حصن: أجل، ومدحهم، فقال رجل من المسلمين: قاتلك الله يا "غيينة" أتمدحهم بالامتناع من رسول الله – ﷺ— فقال: إني والله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفا، ولكني أردت أن أصيب من "ثقيف" جارية لعلها تلد لي رجلا.

ولما رحل رسول الله من الطائف سار حتى نزل ببلدة الجعرانة، حيث أتته وفود هوازن يعلنون إسلامهم، وقالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك، وقام "زهير بن صرد "من بني سعد بن بكر"، وهم الذين أرضعوا رسول الله – ﷺ— فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك ولو أنا أرضعنا الحارث بن أبي شحر الغساني أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه، وأنت خير المكفولين، فخيرهم رسول الله – ﷺ- بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم فاختاروا أبناءهم ونساءهم فقال: "أما ما كان لي ولنبي" عبد المطلب فهو لكم وقال: المهاجرون والأنصار ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع آخرون عن التنازل عن حقوقهم في الغنائم.

وسأل رسول الله ﷺ عن "مالك بن عوف" فقيل إنه بالطائف فقال أخبروه إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة بعير فأخبر مالك بذلك فرج من الطائف سرا، ولحق برسول الله – ﷺ – فأسلم وحسن إسلامه، واستعمله رسول الله على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل التي حول الطائف فأعطاه أهله وماله ومائة بغير، وكان يقاتل بمن أسلم معه من ثمالة وفهم وسلمة بن ثقيف، ولا يخرج لهم سرح إلا أغار عليهم، حتى ضيق عليهم، ولما فرغ رسول الله – ﷺ من رد سبابا هوازن ركب، وأبتعه الناس يقولون: يا رسول الله أقسم علينا فيئنا حتى ألقوه إلى شجرة فاختطف رداؤه، فقال: ردوا على ردائي أيها الناس، فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا، ثم رفع وبرة من سنام بعير، وقال ليس لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس وهو مردود عليكم، ثم أعطى المؤلفة قلوبهم، وكانوا من أشرف الناس، يتآلفهم على الإسلام فأعطى أبا سفيان وابنه "معاوية" وحكيم بن حزام والعلاء بن جارية الثقفي، والحارث بن هشام وصفوان ابن أمية، وسهيل بن عمر وحويطب بن عبد العزي وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس ومالك بن عوف النصري، كل واحد منهم مائة بعير، وأعطى دون المائة رجالا وأعطى العباس بن مرداس "أباعر فسخطها وعاتب الرسول فشعر فأعطاه حتى رضي، وقال أبو سعيد الخدري، إن رسول الله ﷺ لما أعطي ما أعطي من تلك الغنائم في قريش وقبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئا وجدوا في أنفسهم، وأخبر "سعد بن عبادة" رسول الله بذلك فقال له: فأين أنت يا سعد؟ فقال أنا في قومي، قال: فاجمع قومك لي فجمعهم، فأتاهم الرسول – ﷺ ، وقال لهم أفلا ترضون أين يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت أمرؤ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، فبكى القوم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً وتفرقوا، ثم

اعتمر رسول الله من الجعرانة، وعاد إلى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد، وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس وعاد الرسول إلى المدينة.

# غزوة طيئ

## الإسلام دين السماحة في السلم والحرب

**كذب من ادعى أن الإسلام انتشر بحد السيف، فالأحداث التاريخية تؤكد أن المبادئ السامية لهذا الدين هي التي دفعت العديد من صناديد الكفار ولم تزل إلى اعتناق هذا الدين السامي، وقد ظهر ذلك جليا في غزوة "طيئ".**

وقد وقعت غزوة "طيئ" في شهر ربيع الآخر حين أرسل رسول الله – ﷺ – الإمام على بن أبي طالب إليهم، وغار عليهم فغنم الكثير وكسر الصنم وكان مقلداً بسيفيه يقال لأحدهما مخذم والآخر رسول فأخذهما على إلى النبي – ﷺ – وكان الحارث بن أبي شمر قد أهدى السيفين إلى الصنم فعلقهما عليه، وقد أسر الجيش بنتا لحاتم الطائي وحملوهما إلى رسول الله – ﷺ– بالمدينة فأطلقها.

وقد روى عدي بن حاتم الطائي عن أسباب دخوله الإسلام فقال: "إن جيش رسول الله – ﷺ– قد جاءت إلى طيئ فأخذوا أخته وناساً كثيرين فذهبوا بهم إلى رسول الله – ﷺ ، فقالت أختي: يا رسول الله هلك الوالح، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك، فقال النبي: ومن وافدك؟ فأجابت: عدي بن حاتم الطائي، فقال النبي – ﷺ : الذي فر من الله ورسوله، فمنّ عليها وإلى جانبه على بن أبي طالب، وقال: "سليه حملانا"، فسألته فأمر لها به وكساها وأعطاها نفقة، وكان عدي أنه كان ملك طيئ يأخذ منهم المرباع وهو نصراني، ولما جاء جيش الرسول أخذ أهله وهرب إلى الشام ليكون عند أهل دينه، وبينما

هو بالشام ذهبت إليه أخته وأخذت تلومه لأنه تركها وهرب بأهله إلا هي ثم قالت له: "أرى أن ألتحق بمحمد سريعاً فإن كان نبيا كان للسابق فضله، وإن كان ملكا كنت في عز"، فتوجه عدي إلى النبي – ﷺ – وعرفه بنفسه فأخذه النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى بيته فقابلته في الطريق امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها، فقال عدي: ما هذا بملك، وحين دخل بيت النبي جلس عدي على وسادة، وجلس المصطفى على الأرض وقال لابن حاتم: "يا عدي أنت تأخذ المرباع وهو لا يحل في دينك، ولعلك إنما يمنعك من الإسلام حاجتنا وكثرة عدونا، والله ليفيضن المال فيهم حتى لا تجد من يأخذه، ووالله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخف إلا الله، ووالله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت، فأسلم عدي بن حاتم، وقد رأى القصور البيض قد فتحت والمرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله فأقسم لتكونن الثالثة ليقبضن المال حتى لا يقبله أحد".

ونخلص من هذه الغزوة أن العفو عن الأعداء عند المقدرة وإنزال الناس منازلهم، بالإضافة لإكرام الضيف من شيم المسلمين علمهم إياها معلم الخلق محمد – ﷺ.

# فهرس